


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس – مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر

في تخصص أدب قديم

الموسومة:

# فن المقامة في الأندلس

# "مقامات أبو الطاهر محمد التميمى" أنمودجاً

من إعداد الطالبة:

–صايم صليحة

تحت إشراف الأستاذ:

– أ/بن ادريس عمر

السنة الجامعية : (1440-1439) ( 2018-2017)

# الإهداء

إلى الوالدين العزيزين حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى إخوتي و أخواتي جميعا

إلى كل من تجمعني به صلة القرابة

إلى كل من هو أهل التقدير و الاحترام والإهداء

أهدي ثمرة هذا العمل

صايم صليحة

## مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و صحبه أجمعين و من تبعهم إلى يوم الدين أما بعد:

يعد التراث النثري في الأندلس جزءا ساطعا من تراثنا العربي الإسلامي، الذي استمد جذوره من المشرق،و نما في أرض الأندلس،فنضجت ثماره الأدبية بحكم قوته وجودته وقد تعددت فنونه القولية التي جلبت أنظار النقاد و الباحثين و لفتت انتباههم،و نظرا لأهمية هذه الفنون في الساحة الأدبية قمنا بتسليط الضوء على فن من هذه الفنون التي كان لها صدى قوي بين الأندلسيين ألا و هو "فن المقامة في الأندلس" الذي يعتبر من أشهر الأجناس الأدبية شيوعا بين الناس على مر العصور،فقد رسم لنفسه مكانة مرموقة في قلب الثقافة العربية الإسلامية،و بخاصة المقامات اللزومية التي زاحمت الشعر في خصائصه و موضوعاته،باعتبارها الوحيدة التي وصلت إلينا كاملة من الأندلس،و قد وقع اختياري على هذا الموضوع بالذات لأنني وجدت متعة أدبية في قراءة المقامات لما فيها من إرشاد و نصح،و بخاصة للأطفال،فغايتها قبل أن تكون هزلية هي تعليمية،أما الدافع الثاني الذي دفعني إلى الخوض في هذا المجال هو أن هذا الفن لم ينل العناية و المتابعة الكافية من قبل الباحثين،فنرى بأن حصته قليلة مقارنة مع الأجناس الأخرى كالرسالة والخطابة التي أخذت نصيبها من الاهتمام و الدراسة،و بعضهم الآخر انصرف إلى دراسة الجانب الشعري لأنه أأقوى من الجانب النثري من خلال محاكا ته للمشارقة ،حيث أنني لم أجد أي دراسة أكاديمية بحثت في هذا الموضوع و بخصوص المقامات اللزومية.و لذلك فإن ا الفن بحاجة إلى دراسات لإعادة إحيائه و بعثه من جديد في الساحة الأدبية و المتوقع أن يحمل هذا الموضوع تساؤلات ما المقصود بفن المقامة؟ و فيما تتمثل سمات التجديد في المقامة الأندلسية؟و ما هي نقاط الاختلاف بين المقامة المشرقية و المقامة الأندلسية؟.

و للإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا وضع خطة بحث أكاديمية كالآتي:

جاءت الدراسة في فصلين يسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة.

أما الفصل الأول: فقد تناولنا فيه تطور أدب المقامة في الأندلس من خلال استعراضنا لنشأة هذا الفن و كيف وصل إلى الأندلس و العوامل التي ساعدت على انتشاره،ثم انتقلنا إلى عرض لموضوعات المقامة الأندلسية لنبين مواضع الاختلاف بينها و بين المقامة المشرقية ، ولكي نقدم أدلة للقارئ قمنا بغرض نماذج عن هذه المقامات في المبحث الثالث.

أما الفصل الثاني: فقد خصص للجانب التطبيقي، و قد قمنا باختيار درة نفيسة من هذا اللون الأدبي في الأندلس و هي المقامات اللزومية التي تعتبر من أهم ما أنتجه الأندلسيون في هذا الميدان،حيث قمنا بتحليلها و شرحها و استخراج موضوعاتها.

و قد اعتمدنا في عملنا هذا على منهجين:

المنهج التاريخي: من خلال ذكر تاريخ الأدب الأندلسي عبر العصور في المدخل،و دراسة لتطور أدب المقامة في الفصل الأول.

المنهج الوصفي التحليلي: من خلال وصف المقامات اللزومية و محاولة استعراضها و تحليلها .

و قد اعتمدنا في بحتنا هذا على جملة من المصادر و المراجع نذكر من أهمها:الأدب العربي في الأندلس لعبد العزيز عتيق، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد المقري التلمساني .

و الحمد لله لم تواجهنا أي صعوبات إلا ما يقتضيه البحث من جهد،و ندرة في المراجع التي تناولت بعض الجوانب من هذا.

و في الختام لا يسعني إلا أأن أتقدم بشكري و امتناني لأستاذي الكريم "بن ادريس عمر" و ذلك بتفضله الإشراف على هذه الرسالة و بتوجيهاته السديدة التي ساعدتني في إنجاز هذا العمل . فكان نعم المشرف.

أسأل الله أن يجازيه خير جزاء و أن يوفقني و يسدد خطاي.

المدخل:الحياة الأدبية والعقلية في الأندلس

-الحركة الأدبية في الأندلس

-المقامة(المفهوم-النشأة-الخصائص و الصفات)

تمثل الأندلس في تاريخنا الإسلامي و العربي حقبا مزدهرة،وعصورا مشرقة ما يزيد على ثمانية قرون من الزمن شاد العرب المسلمون في ربوعها حضارة و رقيا،وعدلا و سموا ،و أقاموا صروحا شامخة من ألوان المعرفة،ومنها الأدب العربي الذي يعد أثرا من آثار البيئة الأندلسية،يتفاعل معها و تتفاعل معه،لأن أدب أي أمة يتصل اتصالا وثيقا بحياتها الاجتماعية و الفكرية،وبيئتها الطبيعية منها و الصناعية،و يعد صدى لكل هذه العوامل جميعها إيجابا و سلبا[1].

## 1-الحركة الأدبية في الأندلس:

كان الملوك في الأندلس أدباء و شعراء،يتذوقون الأدب و يقرضون الشعر،والأديب أعرف بقيمة الأديب و الشاعر آنس بالشاعر فكانوا لهذا يتنافسون في تعهد الأدباء و إثابة الشعراء و يبالغون في إكرامهم و إجزال العطاء لهم .

وقد صرف ملوك الطوائف جهدهم إلى العناية بالأدب و الشعر وكانت مجالس الأدب في الأندلس من أكبر مسارح الأفكار و أفخم مظاهر الجمال،وأظهر مظاهر الحياة العقلية و الاجتماعية[2] كانت تحفل بأنواع الأدب،و ألوان الطرف،وأقانين اللهو و السمر و كان الشعر فيها نشوة الشارب،وغناء الراقص و لغة الكؤوس و أدب النقوش[3].

لقد حمل العرب معهم إلى الأندلس طبيعتهم الشعرية،كما حملوا نزعاتهم العرقية،وكان الشعر يحل حيثما حلوا.وكان ينمو ويترعرع في انفجار طبيعي أشبه بانطلاق النور من قلب الشمس،وفي هذا الجو الجديد اتسع المجال لموطن شعري جديد،وقد شاع الشعر في الأندلس شيوعا واسعا جدا،وانتشر في جميع الطبقات،فزاوله الملوك و الوزراء وأنشده القضاة و العلماء. وقاله الأعمى المتسول و الساعي المتجول، و الجندي في ميادين القتال،و قد بلغ

[1]علي محمد سلامة،الأدب العربي في الأندلس،تطوره –موضوعاته وأشهر أعلامه،الدار العربية للموسوعات،لبنان،ط1،1989،ص5

[2]ينظر:محمد عبد المنعم خفاجي ،الأدب الأندلسي –التطور و التجديد،دار الجيل ،لبنان،ط1،1992،ص273

[3]المرجع نفسه،ص274

انتشار الشعر ذروته منذ القرن الحادي عشر،وكان فريدا في تاريخ العرب،أضف إلى ذالك أن الشعر في المشرق انحصر ضمن نطاق الأرسطقراطية،أما في الأندلس فكان الشعر شعبيا بكل ما في الكلمة من معنى و كان لغة الجميع.

نشأ الشعر في عهد الولاة نشأة غامضة،وقد ظهرت صدى ضعيفا للشعر المشرقي؛تتردد فيه معانيه و أساليبه،وقد ظهرت في هذا العهد الأراجيز التاريخية،كما ظهرت الموشحات على يد شاعر ضرير"مقدم القبري"الذي عاش في أواخر زمن الولاة[1].

كان الشعر في هذه الفترة غير متميز الملامح،مجهول الهوية،لانصراف المسلمين إلى الحروب لتوطيد أركان الدولة الجديدة،لذا عاش الأندلسيون في الحقب الأولى عالة على شعر إخوانهم المشارقة ومن هؤلاء "أبو الأجرب بن الصمة" الذي أسهم في شهرته هجاؤه للصميل ابن حاتم رئيس القيسية،و يقفز عبد الرحمن الداخل إلى السلطة مؤسسا دولة أموية بالأندلس (138-422ه).وقد بدأ الشعر في هذا العهد يتطور و يزدهر،و يتخذ لنفسه طرائف جديدة،فحتى الأمراء كانوا شعراء،ومن شعراء هذه الفترة بكر بن عيسى،وابن هبيرة

وأبو الحسين التميمي،غير أن الشعر في هذه الفترة لم يستقل استقلالا تاما عن المشارقة و لم يتأثر بعد بطبيعة الأندلس الفاتنة،ثم انهارت الخلافة الأموية و سادت الفوضى أرجاء الأندلس حتى جاء عصر الطوائف (422-484ه) الذي يعد عصرا ذهبيا للشعر و الشعراء ،فالشعر أضحت له المنزلة العظيمة والمكانة المرموقة عند الجميع،ويمثل هذا الطور ابن زيدون،ابن عمار وغيرهم.

أما المرابطون الذين ردوا إلى الأندلس وجهها العربي (484-524ه)فإنهم كانوا ميالين إلى التأدب بالأدب العربي شعره و نثره،فقد ازدهر الشعر في عصرهم ازدهارا كبيرا،وقد حفل

---

[1]ينظر:حنا الفاخوري،الجامع في تاريخ الأدب العربي،الأدب القديم،دار الجيل،لبنان،ط1،1992،ص-ص934،937

هذا العصر بشعراء كثيرين لهم صفحات مشرقة حافلة بالحديث عن ألوان متنوعة من اللهو و المجون،ووصف الخمر و التغزل والتغني بجمال الطبيعة الأندلسية التي سحرت ألبابهم و استولت على مشاعرهم ومن أشهر شعراء هذا العصر ابن خفاجة الذي مدح المرابطين بغرر قصائده[1].

أما الشعر في دولة الموحدين(524-635ه)فكانت له المنزلة الرفيعة و المكانة المرموقة لدى الخلفاء،لما في جبلتهم من ميل كبير إلى العلوم و الأدب،وتشجيعهم الشعراء ،فالخلفاء أنفسهم كانوا ينقدون الشعر،بل و يقرضونه،ونذكر منهم:عبد المؤمن بن علي ،ويعقوب بن المنصور ولم تبلغ الموشحات أوج كمالها إلا في عصر الموحدين ومن ألمع وشاحي هذا العصر:الوزير أبو بكر بن زهر.

أما دولة بني الأحمر فقد أضعفتها الصراعات السياسية التي دارت رحاها بين أعضاء الأسرة الواحدة،وأنهكتها الحروب المستعمرة دفاعا عما بقى من أرض الأندلس ضد أطماع الاسبانيين،وكان تأثر الشعر بهذه الصراعات السياسية والحروب المتلاحقة كبيرا،فغلب عليه طابع الاستغاثة و استنهاض همم الملوك العرب في المغرب و تونس لمساعدتهم في الدفاع عن الإسلام،وقد نضج في هذا العصر فن آخر من فنون القول في الأندلس وهو الزجل،وخلف الدهر أسماء لامعة لشعراء هذا العصر نذكر منهم:ابن زمرك[2].

لم يقتصر تأثر الأندلسيين بالمشارقة على الشعر فحسب بل تعداه إلى النثر،فكان تطور إلى الأمام،أو رجعة إلى الوراء في النثر المشرقي سرعان ما يجد طريقه إلى الأندلس،و يتردد صداه بين ربوعه ويتأثر به أدباؤه،وينهجون طريقه و يسيرون في دربه[3].

"يقول ابن بسام في مقدمة كتابه في محاسن أهل الجزيرة:

...إن أهل هذا الأفق أي الأندلس أبو إلا متابعة أهل المشرق،يرجعون إلى أخبارهم

---

[1] ينظر:علي محمد سلامة،الأدب العربي في الأندلس-تطوره موضوعاته و أشهر أعلامه،ص-ص65،77

[2] ينظر:المرجع نفسه،ص-ص78،80

[3] نفسه،ص439

المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة،حتى لو نعق قبلك الأفاق غراب أوطن بأقصى الشام و العراق ذباب،لجثوا على هذا صنما وتلو،ذالك كتابا محكما.[1].."

لقد مر النثر الأندلسي بمراحل متأثرا فيها وخلالها بالنثر المشرقي،فالمكتبات التي كانت تصدر عن أمراء قرطبة كانت تشبه إلى حد بعيد تلك التي كانت تصدر عن الخلفاء الأمويين بالمشرق العربي،فتراوح أسلوب الكتابة الأندلسية في هذه المرحلة بين السجع و الاقتباس من القرآن الكريم،وحينما تطورت الكتابة بالمشرق واتجهت اتجاها جديدا نحو غزارة المعنى وعدم الجري وراء السجع ككتابة ابن المقفع،وجدت لها صدى في نفوس كتاب الأندلس،فتأثروا بها ونجد ذالك جليا في كتابات :ابن حزم الأندلسي.و لطريقة الجاحظ في مؤلفاته و التي تعتمد على الجمل القصار و تقابل الفقرات،ومزج الجد بالهزل أثر كبير في كتابات الأندلسيين عن طريق كتبه التي وصلت إلى الأندلس:البيان و التبيين ،الحيوان.[2]

وعندما ظهرت طريقة ابن العميد في المشرق و التي تعتمد على السجع،و الاقتباس من القرآن الكريم أغرم بها الأندلسيون فأخذوا في النسج على منوالها في رسائلهم و كتبهم ،ويظهر ذلك جليا في كتبهم التي ألفوها في القرنين الخامس و السادس مثل (المقتبس في أخبار الأندلس )لابن حيان ت469ه،وعندما وصلت مقامات بديع الزمان الهمذاني إلى الأندلس أسرع الكتاب الأندلسيين ليقلدوا (بديع الزمان)في مقاماته،و كذالك الحال عندما وصلتهم(مقامات الحريري)فإنهم درسوها ،وشرحوها،ثم عارضوها أما طريقة(القاضي الفاضل)والتي تعتمد على السجع الطويل،و مراعاة النظير،وغيرها من فنون البديع،والتي جعلت الكتابة تأخذ جانب الصنعة المحضة،فقد أعجب بها بعض أدباء الأندلس في القرنين السادس و السابع،فأصبحت الكتابة بإتباعهم لمنهج القاضي الفاضل إسرافا في

---

[1]أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،القسم الأول،مج1 ،تح إحسان عباس،دار الثقافة،بيروت،لبنان،دط،ص12

[2]ينظر:علي محمد سلامة،الأدب العربي في الأندلس،تطوره-موضوعاته و أشهر أعماله،ص439،440

الزخارف اللفظية،و السجع المتكلف[1].

وقد اقتصر النثر في القرن الأول من دخول العرب الأندلس على ما تقتضيه الأحوال[2] من الخطب التي كانت في أول الأمر وليدة الفتح و الجهاد،و دخل العرب بلادا جديدة يترصد لهم فيها عدو قاس،فكان لا بد للولاة من الاستغاثة بالخطابة في تحميس الجند و الحض على الجهاد،فكان كلامهم كالذي سمعناه عند علي بن أبي طالب و زياد بن أبيه وكانت معانيهم واضحة،ولعل خطبة طارق بن زياد من أصدق النماذج عن الأسلوب الذي استعمل في العصر الأول،ولما اتسع أفق الثقافة[3] و انتشرت العلوم و أقبل الناس على درسها؛كثرت المناقشات و المناظرات فتنوعت أغراض الخطابة،وتسرب إليها السجع،أما في أيام الملوك فقد انحطت منزلتها وغلبت عليها الصنعة،هكذا كان شأن فن الخطابة بالأندلس فقد سما به جماعة من مشهوري الخطباء كالوليد بن عبد الرحمن بن غانم في أيام عبد الرحمن الأموي ،وعبد الله الفخار في زمن المرابطين،وأبي الحسن منذر بن سعيد البلوطي[4]،وهناك نوع آخر

متصل بالخطابة و معروف لدى الأدباء باسم (الوصايا) لما فيها من تذكير و موعظة هما جل غرضها،وقد سايرت الوصايا الأندلسية الخطب هناك و كان أسلوبها كأسلوبها،فابتدأت قصيرة غير متكلفة و ظلت على تلك الحال أمدا بعيدا،ثم غلبت عليها الصناعة اللفظية.ومن أمثلة ذلك وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده الذي حرضهم على التمسك بالكتاب و السنة[5].

وحذا الأندلسيون حذو المشارقة في الترسل فكان في القرن الأول من الفتح صورة للنثر الرسائلي خال من الزخرف والتنميق،ولنا مثال ما كتبه بدر مولى عبد الرحمن الداخل

---

[1] المرجع نفسه،ص440،441

[2] محمد عبد منعم خفاجي،الأدب الأندلسي –التطور و التجديد،ص571

[3] ينظر :حنا الفاخوري،الجامع في تاريخ الأدب العربي،الأدب القديم،ص902

[4] المرجع نفسه،ص403

[5] عبد العزيز عيسى،الأدب العربي في الأندلس،مطبعة الاستقامة،القاهرة،ط1،1940م،ص57،58

عاتبا على سيده،وسرعان ما تبدلت الأحوال لما اتسعت آفاق العلم،وجاب الرحالة الشرق وحملوا إلى بلادهم مؤلفات أشهر المترسلين فيه،كثرت أغراضه و تنوعت أساليبه وكان منه نوعان:الديواني-الأدبي[1].

لقد كتب الأندلسيين في جميع فنون النثر العربي من خطابة ووصية،إلى الرسالة و القصة ،وغيرها من الفنون و سنتناول بالدراسة فن المقامة.[2]

## 2-مفهوم المقامة لغة و اصطلاحا:

### أ-المعنى اللغوي للمقامة:

ورد في لسان العرب:المقام:موضع القدمين...والمقام و المقامة: الموضع الذي تقيم فيه ،والمقامة:بالضم :الإقامة:والمقامة،بالفتح:المجلس و الجماعة من الناس...والمقام و المقامة: المجلس،و مقامات الناس:مجالسهم،ويقال للجماعة يجتمعون في المجلس:المقامة[3].

إذا رجعنا إلى الشعر الجاهلي وجدنا كلمة مقامة تستعمل بمعنيين،فتارة بمعنى مجلس القبيلة أو نادبها،على نحو ما نرى عند زهير إذ يقول:

وَفِيهِمْ مَقامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهَا وأَنْدِيَةٌ يَنْتابُهَا القولُ وَ الفِعلُ

وتارة تستعمل بمعنى الجماعة التي يضمها هذا المجلس أو النادي،على نحو ما نرى عند لبيد إذ يقول:

ومقامة غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

و تتقدم في العصر الإسلامي فنجد الكلمة تستعمل بمعنى المجلس يقوم فيه شخص بين يدي الخليفة أو غيره و يتحدث واعظا.ثم تتقدم أكثر من ذلك فنجدها بمعنى المحاضرة[4].

### ب-المعنى الاصطلاحي للمقامة:

---

[1]المرجع السابق،ص403،404

[2]علي محمد سلامة،الأدب العربي في الأندلس،ص441

[3]ابن منظور،لسان العرب،دار صادر،مج1،بيروت ط1،مادة(قوم)

[4]شوقي ضيف، المقامة،دار المعارف،مصر،ط3،دت،ص07

المقامات قصص قصيرة تدور حول شخصيات نمطية من أصحاب الكدية غالبا وتعمد إلى فن الإضحاك من تصرفات تلك الشخصيات وحيلها وأقوالها،و تصاغ بأسلوب يكثر فيه الصور البيانية وضروب البديع،إذ اكتسبت معنى اصطلاحيا على يدي بديع الزمان الهمذاني ت398ه[1].

وتختلف مواضيع المقامة ما بين الاحتيال و الوعظ و الكدية،و المناظرات الأدبية،والقصص الخيالية،و لكن قصص الاحتيال وطرق المحتالين هي التي لها النصيب الأوفى في في المقامات[2].

و ليس الغرض من المقامة جمال القصص و لا حسن الوعظ و لا إفادة العلم،و إنما هي قطعة أدبية فنية يقصد بها (الفن للفن)وتجمع شوارد اللغة و نوادر التركيب في أسلوب مسجوع أنيق بعجب أكثر مما يؤثر،و يلذ أكثر مما يفيد و لم تراع قواعد الفن القصصي فيما كتب من هذا النوع،فلم يعن كاتبوا المقامات بتصوير الحكايات و تحليل الأشخاص،و إنما صرفوا همهم إلى تحسين اللفظ وتزيينه، و تدور المقامة على حادث عادي يستند إلى شخص معين ما يسمى في اصطلاح الفن القصصي بالبطل،كأبي زيد السروجي في مقامات الحريري،وأبي الفتح الإسكندري في مقامات البديع،و بين هذا البطل و بين رجل آخر صلة وثيقة و معرفة قديمة،فهو يراه في كل حادثة،و يسمعه في كل مجلس،ثم يروي للناس ما عليه من خير و شر،ذلك هو الراوي؛كعيسى بن هشام في مقامات البديع،و الحارث بن همام في مقامات الحريري[3].

ويذهب أكثر الباحثين إلى أن غرض "البديع" من مقاماته هو تلقين الناشئة و لكننا نظن أن "البديع" كانت له أهداف مختلفة من إنشائه لمقاماته فالغرض التعليمي ليس الأساس في تلك

[1]محمود عبد الرحيم صالح،فنون النثر في الأدب العباسي،دار جرير،عمان،ط2،2006م،ص167
[2]علي محمد السيد خليفة،دراسات في فنون النثر العربي القديم،دار الوفاء الإسكندرية ،ط1،2013،ص142
[3]أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي،دار نهضة،مصر،دط،دت،ص398

المقامات بل لإبراز ثقافته[21].

3-نشأة المقامة :

اختلف الدارسون في نشأة المقامات،وأشار بعضهم إلى أحاديث أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد ت321ه،والى رسائل أبي الحسن أحمد بن فارس ت395ه،وقيل أن هذه الرسائل و تلك الأحاديث هي النشأة الحقيقية للمقامات[3].

أما فيما يتعلق بأحاديث ابن دريد،فقد صرح أبو إسحاق الحصري بقوله:

(بأن بديع الزمان الهمذاني لما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثا،وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره...عارضها (بديع الزمان) بأربعمائة مقامة في الكدية.[4]..).

وقد أورد أبو علي القالي هذه الأحاديث في كتاب الأمالي،ونستطيع من خلال ما أورده القالي-أن نقسم أحاديث ابن دريد:أحدهما يغلب عليه الطابع اللغوي،و يزخر بالألفاظ الغريبة ،ويتجه اتجاها تعليميا و الآخر يغلب عليه الطابع الأدبي،وفيه اهتمام بجمال التعبير و يتجه اتجاها فنيا. ومن الواضح أن هذه الأحاديث-ليست من فن المقامات،وأن الصلة بينها و بين المقامات ضعيفة،و ينبغي التنبيه على أن ابن دريد لم يلتزم السجع في أحاديثه،و لم يتخذ الأسلوب القصصي فيها كلها،بل أورد فيها الخطب و الحكم و النكتة الأدبية و الفوائد اللغوية[5].

لقد لحظ العلامة شمس الدين بن خلكان في ترجمته في وفيات الأعيان أن هذه الرسائل تركت أثرا في إحدى مقامات الحريري ت516ه،وذكر ابن خلكان أن الحريري اقتبس من

---

1

[2]ينظر: المرجع السابق،ص144،145

[3]محمود عبد الرحيم،فنون النثر في الأدب العباسي،ص168

[4]ينظر:المرجع نفسه،ص168

[5]نفسه،ص169

ابن فارس المساءل الفقهية في المقامة الطيبية –و هي مائة مسألة-ولعل ملحوظة ابن خلكان الذكية،وكون بديع الزمان الهمذاني تلميذا لابن فارس هما اللذان جعلا بعض الدارسين يرى أن رسائل ابن فارس هي أصل المقامات.و نحن لا ننكر تأثر بديع الزمان بأستاذه ابن فارس ،و لكننا لا نعد رسائل ابن فارس من فن المقامات،و لا نعدها أصل هذا الفن أو نشأته الحقيقية.و الرأي الذي نختاره أن هذا النوع من القصص نشأ في أواسط الدولة العباسية وهو عهد الترف الأدبي و الإنشاء الصناعي الأنيق،وبديع الزمان هو أول من أطلق اسم المقامات لهذا الفن الأدبي من إنشائه،استلهم التراث القصصي مثل:القصص النمطية (نوادر)والقصص الفكاهية وغير ذلك.فابتكر فن المقامات،ووضع له الأسس الفنية و أرسى دعائمه الأسلوبية،وقد أجاد بديع الزمان إجادة أحلته منه محل الزعيم[1].

## 4-خصائص وصفات المقامة:

ليست المقامة إذن قصة و إنما هي حديث أدبي بليغ،فليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط. فهي تشبهها في أسلوب صياغتها و لكنها تختلف عنها بأنها تتميز ببلاغة أدبية واضحة و ذلك خلال الاعتماد على استخدام أساليب اللغوية وهي:الطباق،الجناس،و التقيد بالسجع[2]. المقامة هي حيلة يطرفنا بها بديع و غيره لنطلع من جهة على حادثة معينة،ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة،بل إن الحادثة التي تحدث للبطل لا أهمية لها،إذ ليست هي الغاية إنما الغاية التعليم،أي أنها تعمل على إثراء المعرفة الأدبية و الغوية عند الأفراد،ومن هنا جاءت غلبة اللفظ على المعنى في المقامة فالمعنى ليس شيئا مذكورا،إنما هو خيط ضئيل تنشر عليه الغاية التعليمية.ولعل ذالك ما جعل المقامة منذ أن ابتكرها بديع الزمان تنحو نحو بلاغة اللفظ وحب اللغة لذاتها فالجوهر فيها ليس أساسا-و إنما الأساس العرض الخارجي و الحيلة اللفظية.وكان لذالك وجه من النفع،و إن الأدباء انساقوا إلى الثروة اللفظية،و أخذوا

---

[1]ينظر:المرجع نفسه،ص169

[2]ينظر:شوقي ضيف،المقامة،ص9

يبتكرون صورا جديدة للتعبير و لمن في حدود سطحية.و لم يتجهوا بالمقامة إلى وصف حوادث النفس و حركاتها،و إنما اتجهوا إلى ناحية لفظية؛إذ كان اللفظ فتنة القوم،وكان السجع كل ما لفتهم من جمال في اللغة و أساليبها[1].

وتقدم بديع الزمان في مقامته فأقام لهم معارض منسقة من ذلك و تبعه في ذلك الحريري ،وتوسع من خلفوهما بالمقامة فأجروها لا في تعليم الأساليب الأنيقة فحسب،بل في مختلف الشؤون الثقافية ووضعوا فيها مناظرات خيالية كما وضعوا أحيانا جوانب من مجتمعاتهم ؛ ولكنهم لم يكفوا عنها أبدا قيود اللفظ وأسجاعه،وما رسفت فيه من أغلال البديع و أثقال اللغة و ألفاظها العويصة،بل كان ذلك مقياس المهارة و البراعة[2].

من خلال استعراضنا للحركة الأدبية في الأندلس نذهب للقول بأن:

الأندلسيين قد بالغوا في محاكاة المشارقة في أغراض الشعر،و قد كان مرآة عاكسة لحيلتهم وبيئتهم بكل ما فيها و بجميع ألوانها،ولم يقتصر ذلك على الشعر فحسب بل نجدهم قد اقتفوا أثرهم في النثر أيضا،وقد تطور هذا الأخير في الأندلس كما تطور في المشرق،وتناول من الأغراض و الفنون ما عهدناه كذالك في المشرق من خطابة و ترسل و مقامة.

---

[1] ينظر:شوقي ضيف،المقامة،ص9

[2] المرجع نفسه،ص10

تمهيد:

المقامة فن من الفنون النثرية المتميزة بمضمونها واطارها،نشأت في القرن الرابع الهجري على يد بديع الزمان الهمذاني واضع أصولها و أسسها الفنية،وعرضت لنا صورا صادقة لما كانت تموج به الدنيا منطرق الاحتيال،فهي بمثابة نص مفتوح القراءات،وقد انتقلت هذه المقامات الى مختلف الأقطار،وتعلق بفنها الجديد الكثير من الأدباء فنسجوا على منوالها حتى وصلت الى الأندلس فاحتفى بها أدباؤها شرحا و نقدا،وهناك من أنشأ على غرارها ،لكن المقامة الأندلسية رغم تأثرها الشديد بالمشرق الا أنها أخذت طابعا آخرا مختلفا من حيث المضامين و الموضوعات.ويذهب بعض الباحثين للقول أن المقامة الأندلسية جاءت كظل للمقامة المشرقية،مقتفية لآثارها.فهل ما قيل عن المقامة الأندلسية صحيح؟وهل تعتبر حقل ظلا تتبع المقامات المشرقية فنا و موضوعا؟

## 1-نشأة المقامة الأندلسية و خصائصها:

### أ-نشأة المقامة الأندلسية:

دخلت المقامات الأندلس في حينها ، في أثناء الحركة الحياتية و الثقافية المتبادلة بين الأندلس و المغرب من جهة و المشرق من جهة أخرى .[1]

وقد عرف الأندلسيون هذا الفن عن طريق الرحلات التي قام بها طلاب العلم و رواد المعرفة ، و شداة الأدب إلى المشرق للتزود بمعارفه و علومه ، و عندما عادوا إلى بلادهم رجعوا معهم هذا اللون من النثر الفني .[2]

وقد صاحبت الرحلات الكثير من المناظرات ، و المحاورات بين العلماء، و في مختلف حواضر الإسلام التي وطأتها أقدام الرحالة ، و أشار ابن خلدون (ت 808ه) في مقدمته إلى أهمية الرحلة إذ يقول:

"فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرجال".[3]

و من خلال الأجواء شقت المقامات طريقها إلى أرض الأندلس لتحتل مكانتها في نفوس أولئك الأدباء حتى حظيت بمكانة مرموقة[4] .

انتشرت في عصر الطوائف بين الأندلسيين مقامات بديع الزمان الهمذاني و رسائله[5] ،و مما يستقصى من أقوال مؤرخي الأدب القدامى و المحدثين أنها وصلت في القرن الخامس و انتشرت في مجالس الأدباء ، وقد برز اجتهادهم في كتابة مقامات تحاكيها و تشابهها.

و من طريف ما رواه ابن الآبار متصلا بتعلق الأدباء بهذا اللون الجديد من النثر الفني الذي

---

[1] محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000م، ص 256

[2] علي محمد سلامة، الأدب العربي في الأندلس، ص 481

[3]، ينظر قصي عدنان سعيد الحسيني، فن المقامات بالأندلس، نشأته و تطوره و سماته ، دار الفكر، عمان ،ط1،1999،ص19

[4] المرجع نفسه، ص19

[5] إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف و المرابطين، دار الشروق، عمان، ط1، 1997،ص 243

أشرقت شمسه في همذان و بغداد ، فقد روى أن كثيرا من الأندلسيين سمعوا من الحريري مقاماته الخمسين ببستانه ببغداد،ثم عادوا إلى بلادهم حيث حدثوا بها عنه[1].

ونذكر من أولئك النفر أبا الحجاج يوسف القضاعي البلنسي(ت542ه) ، و الحسن بن علي البطليوسي (ت 566ه) ، و بعودة السابقين و اللاحقين من المعجبين بفن المقامات إلى بلادهم . تمت إشاعته و مناقلته في المجالس ، و تسجيله في الطروس ، و الالتحاق به في المنتديات و الدروس[2].

وكان أول المتذوقين لمقامات بديع الزمان الهمذاني و الناسجين على منوالها ابن الشهيد ، و أكثر ما أعجبه فيها تلك القطع الوصفية و لذالك أنشأ على مثالها قطعا في وصف الماء و البرغوث و الثعلب و الحلوى[3] .

و تتابع السيل فإذا بعبد الوهاب بن الوهاب بن المغيرة بن الحزم يعارض الزمان الهمذاني في مقامة ، و كذالك عارض ابن شرف القيرواني بديع الزمان الهمذاني في جملة مقامات سار فيها على نهجه و صبها في قوالبه[4].

ظهرت مقامات الحريري في مطلع عهد المرابطين و انتشرت انتشارا واسعا ، و اشتهرت فيها أكثر من اشتهار مقامات بديع الزمان الهمذاني ، و لعل سر ذالك راجع إلى الصلة بين الأندلسيين و الحريري ، حتى إنها كانت تدرس في أماكن الدرس، و تلقن في جامعات الأندلس، و أصبح كتاب المقامات في الأندلس يحتذون حذو الحريري[5].

و اتجه الأندلسيين إلى مقامات الحريري دراسة و رواية ثم مناقشة و معارضة حتى حق لابن سعيد أن يقول عنها:

---

[1] محمد مسعود جبران،فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن خطيب،المضامين و الخصائص الأسلوبية،دار المدار الثقافية،بليدة،ط1، 2009،ص456

[2] المرجع نفسه ، ص 19

[3] المرجع السابق، ص243

[4] مصطفى محمد السيوفي،تاريخ الأدب الأندلسي،دار البيان للطباعة و النشر،القاهرة،دط،2003م،ص278،279

[5] محمود عبد الرحيم صالح فنون النثر في الأدب العباسي ، ص 179

"أنها شرقت و غربت حتى صار ابتذالها عيبا[1]...".

.أما من شرحوا مقامات الحريري بالذات من شيوخ الأدب بالأندلس فكثيرون نذكر منهم

عقيل ت 1211م ، و أبا العباس الشريشي 1222[2]م وهو أحمد بن عبد المؤمن بن موسى

بن عيسى بن عبد المؤمن القيسي من أهل شريش و له رحمه الله تعالى شروح ثلاث

لمقامات الحريري ... كبير و وسط و صغير. و قال ابن الآبار–عندما ذكره –أنه شرح

مقامات الحريري في ثلاث نسخ كبراها الأدبية و وسطاها اللغوية و صغراها المختصرة ،

والذي يهمنا من تلك الشروح هو النسخة الكبرى تلك الذي عرض فيها لمخزون ثقافته

الأدبية و اللغوية في أن معا ، حيث كان يكشف عن المدلولات اللغوية لكلمة أو عبارة ، أو

يوضح مثلا أو يشير إلى حادثة تاريخية مشهورة [3].

و لقد دون حاجي خليفة أكثر من خمسة و ثلاثين شارحا لمقامات الحريري من مشارقة و

أندلسيين ، مما يدل على سمو درجتها الأدبية ، و رقيها عن مقامات الهمذاني[4].

ونذكر منهم أبو بكر محمد بن عبد الله (ميمون ) ت 567ه، أبو الحسن علي بن أحمد بن

علي بن لبال ت 583ه، أبو جعفر أحمد بن داود بن يوسف الجذامي ت 598ه[5].

## ب-الخصائص العامة للمقامة الأندلسية:

تميزت المقامة الأندلسية عن غيرها بالخصائص التالية

- خلو المقامة الأندلسية من عنصر الكدية خلوا ملفتا للنظر

- اتجاه المقامة الأندلسية نحو الرسالة

---

[1] المرجع السابق ، ص 279

[2] محمد رجب بيومي،الأدب الأندلسي بين التأثير و التأثر،إدارة الثقافة والنشر،السعودية،دط،1980م،ص132

[3] مصطفى محمد السيوفي ، تاريخ الأدب الأندلسي ،ص 280

[4] قصي عدنان سعيد الحسيني، فن المقامات بالأندلس ، نشأته و تطوره و سماته ، ص26

[5] المرجع نفسه ، ص 27، 28

- انفصال عنصر الحيلة عن عنصر الكدية ، و بروزه وحده

- تداخل بين فت المقامة و فن الرسالة لذا فقدت المقامة الشخصيتين الخياليتين (الراوي و البطل) فأدى هذا إلى إسقاط العنصر الدرامي من المقامة

-تتميز المقامة الأندلسية من حيث الحجم بالطول و الإطناب

- اختفاء النفس القصصي فيقسم من المقامات الأندلسية ، و ظهوره في معظمها

- الاعتناء بالموسيقى في مقاماتهم عناية كبيرة و استطاعوا أن يتفننوا في استخدام أنواع التي تخدم بنية مقاماتهم الصوتية

-سهولة ألفاظها و دقة معانيها خلا ما نجده في قسم من مقامات السرقسطي من وعورة الألفاظ و تقعر اللغة

-بروز الصورة الفنية الجميلة لدى مقامي الأندلس ، و استطاع هؤلاء الفنانون أن يبدعوا لوحات نابضة بالحيوية و الحركة[1]

-إدخال المقامة الأندلسية في باب أدب الرحلة

-تتميز المقامة الأندلسية من حيث الموضوعات بطرق موضوعات متنوعة تقليدية كالموضوعات الاجتماعية و الأدبية و اللغوية[2]

## 2-موضوعات المقامة الأندلسية :

تنوعت و تعددت موضوعات المقامة من كاتب إلى آخر و هي كالآتي:

### أ-المقامات السياسية :

و هي النوع الأول من نوعي المقامات التي نشأت بالأندلس دون أن تكون لها سابقة بالمشرق ، و حامل لواء هذه المقامات لسان الدين بن الخطيب [3]. هو أبي عبد الله المشهور

[1]نفسه ، ص-ص 138، 143
[2]نفسه ، ص 143
[3]نفسه ،ص 43

بلسان الدين بن الخطيب ولد بغرناطة في الخامس و العشرين من رجب سنة 713ه ، و نشأ فيها ، كان شاعرا مقتدرا[1] .

و له مقامة في السياسة ، و قد ادعى أنه أملاها في ليلة واحدة ،والمقامة فيها طول وإسهاب ،و قد ذكرها المقري كاملة في نفخ الطيب .وهي تقوم على حوار من وحي خيال لسان الدين بين رجلين أحدهما سماه بهارون الرشيد ، و الآخر بحكيم فارس ، و اختياره لهذا الحوار فيه ألمعية و حنكة ؛ يشد انتباه القارئ و يضاعف من تشوقه لقراءة المقامة حتى نهايتها. ويقال أنه استطاع بمهارة وعبقرية، أن يغرض في مقامته خلاصة أرائه و تجاريه في السياسة ، و إدارة دقة الحكم ، و العوامل التي تؤدي إلى نجاحها.[2]

## ب-المقامات البلدانية:

هي النوع الثاني من المقامات التي لا سابقة لها في المشرق ، يتحدث فيها المقامي عن المدن و خصائصها و صفاتها التي تميزها عن غيرها من المدن أخرى بأسلوب رفيع بليغ.

و رائد هذا اللون أبو يحر صفوان بن ادريس التجيبي ت 598ه ، حيث أنشأ مقامة خاطب بها الأمير الموحدي عبد الرحمن بن السلطان يوسف بن عبد المؤمن . جعل راوي المقامة و بطلها مدن الأندلس نفسها و كان بهذا رائدا أيضا . و المدن التي وردت فيها هي إشبلية ، وقرطبة ، وغرناطة ، ومرسية و كانت متفاخرة بما اشتهرت به.

و قد توسع في هذا النوع بعد ردح من الزمن ينيف على قرن و نصف ابن الخطيب الذي أعمل قلمه الثر فسه و قدم لنا معلومات جغرافية لا ندعي أنها المنتهى في علم الجغرافية بل هي مزيج كن معلومات جغرافية ، و تاريخية ، و سياسية ، وموروث

[1] يوسف عطا الطريفي ، المغرب و الأندلس ، دار الأهلية للنشر و التوزيع ، عمان ،ط1، 2008م، ص 397، 398

[2] علي محمد سلامة ، الأدب العربي في الأندلس ، ص 485، 486

اجتماعي من عادات و تقاليد ، نسجت بأسلوب أدبي مبين، يستسيغه القارئ والسامع.

وقد عمل ابن الخطيب نوعا من التوازن في أماكن مقاماته الأربع التي جرت عليها ا الأحداث فجعل إحدى مقاماته داخل حدود مدينته غرناطة وهي (خطرة الطيف و رحلة الشتاء و الصيف)، و الأخرى تدور أحداثها في المغرب وهي غير مسماة ، و الثالثة مفاخرة بين مدينتين الأولى أندلسية وهي مالقة و الثانية سلا و هي مغربية[1].

ج-المقامات النقدية:

يعد الغرض التعليمي الأدبي أحد أغراض المقامة النقدية كما في مقامة ابن شرف القيرواني (مسائل الانتقاد بلطف الفهم و الاقتصاد) إضافة إلى مقامة أبي المطرف عبد الرحمن ابن فتوح ، الذي أخذ فيها دور الراوي ، و شارك البطل إحياء الحوار داخل المقامة فتحول إلى المجلس للمطارحة النقدية بين الفتى السائل و ابن فتوح المجيب[2] .

د-المقامات الاجتماعية:

هذا اللون من المقامات يتحدث عن كل ما يمت المتمتع بصلة ،فيتحدث عن قبائله ، و طوائفه و أنساب أهله، و مهنهم التي يمارسونها ، و يبحث أيضا عن طوابع المدن و طبائع أهلها ، و ما يجري فيها من معاملات و أحداث يومية ، و هذه المقامات تعطينا صورة للحياة الشعبية العامة اليومية ، فهي صور واقعية لكل ما يقع الحديث عنه .

و في مقامات السرقسطي الكثير من الصور الاجتماعية غير أن ولع السرقسطي بالمشرق و كل ما يحمل من طبائع و مسميات ، جعل حصة الحياة الاجتماعية الأندلسية قليلة [3].

و لأبي حفص عمر بن الشهيد مقامة تعد من روائع الأدب النثري في العصر المرابطي . تحدث فيها عن البدو و الحضر. اذ رصدت الظواهر الاجتماعية لعادات البدو و سكان الحضر[1].

---

[1]قصي عدنان سعيد الحسيني ، فن المقامات بالأندلس،نشأته و تطوره و سماته ، ص49

[2]نفسه ، ص 55

[3]نفسه ، ص 57

ه-مقامات الهجاء:

يتناول هذا اللون من المقامات هجاء الأشخاص بمفردهم أو هجاء سكان بلدة معينة ، و بذالك وظف الأندلسيين النثر في أغراض الشعر[2] .

و أشهر تلك المقامات مقامة الفتح بن خاقان ، هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله ، ولد في قرية يقال لها صخرة الواد قرب قلعة يحصب من أعمال غرناطة ، كان أدبيا بارعا كثير التكلف في الصناعة ت539. صنع الفتح بن خاقان مقامته على شيخه أبي محمد البطليوسي ، و غرضها الرئيس هو الهجاء ، و يشكل الجانب الماجن جزء منها، أو بالأحرى مجون بثوب هجاء[3] .

وكان في تلك المقامة قادحا بعلماء قرطبة على الرغم من اتصافهم بالصفات الحميدة كقوله في أبي جعفر بن أبي

( قلت فما عندك في أبي جعفر بن أبي ؟ قال هو شيطان في كل طريق ، و مع كل فريق ، تميميا مرة و قيسيا أخرى[4] ...).

و-مقامات المدح:

و هذا اللون من المقامات يؤدي به المقامي ما يؤدي الشاعر بشعره ، من مدح أحد الخلفاء ،أو الأمراء ، بغية طلب ما ، سواء أكان ماديا أم معنويا . ومن أنواعه أيضا مقامات في مدح المدن . فمن أمثلة مدح الأشخاص مقامة أبي محمد محارب بن محمد الوادي آشي في مدح القائد أبي عبد الله بن ميمون ، ففيها صور جميلة ، أفاد الوادي آشي من القران الكريم واستطاع أن يبدع بأسلوب رفيع ألوانا من الأوصاف التي ترسم صورا سمعية ، و بصرية

---

[1]نفسه، ص59

[2]مصطفى محمد السيوفي ، تاريخ الأدب الأندلسي، ص295

[3]ينظر: عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،الأدب في المغرب و الأندلس،عصر المرابطين و الموحدين،ج5،دار العلم للملايين،لبنان، ط1982،1،ص186،187

[4]قصي عدنان سعيد الحسيني ،فن المقامات بالأندلس ،ص68

تثير الإعجاب بين فيها قوة هذا القائد و اقتداره ، و لياقته و تمكنه[1].

ز-مقامات الوعظ:

برز في هذا اللون من المقامات السرقسطي اذ كرس لها سبع مقامات ، و لم يجاره أحد في المضمار و كان هدفه الدعوة إلى نبذ الدنيا ومغرياتها ، و الاستغفار من الذنوب . و التقرب إلى الله عز وجل[2] .

ح-المقامات الوجدانية :

اتجهت المقامات الأندلسية إلى النمو في ميدان التغزل بالجواري[3]، و أنشأوا مقامات خاصة بهذا الموضوع مثل مقامة السرقسطي التي تحدثت عن لواعج الحب و آثاره. و معاناة العاشق الولهان من الحب و الحبيبة ، ووصف ما يعتريه عند رؤية الأطلال ، ومن بان عنها ،والمقامة الوجدانية الأخرى هي لأبي عبد الله محمد بن عياض اللبلي، وهي على قصرها غاية في المتعة ، و فيها رجع إلى روح المشرق و أجوائه . في ذكره لحنين الناقة.[4]

ط-المقامات الماجنة:

وهي المقامات التي تطرق موضوعا مكشوفا، أو ما يسمى بالأحماض حيث ينتقل المقامي فيه من الجد إلى الهزل للترويح عن النفس،و من هذه المقامات مقامة لابن شرف القيرواني ، و ثلاث مقامات سودها السرقسطي ضمن مقاماته وهي المقامة الثانية عشرة و هي المقامة الفارسية،و المقامة التاسعة عشرة و هي المقامة الخمرية، وجزء من المقامة العاشرة ،و فيها غزل بالمذكر،و مقامة الفتح بن خاقان نجد فيها جزءا من المجون كما أشرنا سابقا.[5]

ي-مقامات أدب الدعاء :

للدعاء مكان بين أغراض المقامة، و من المقامات التي تضمنت الدعاء مقامة السرقسطي

---

[1]نفسه ،ص 62

[2]نفسه، ص 69

[3]مصطفى محمد السيوفي ، تاريخ الأدب الأندلسي، ص294

[4]المرجع السابق ،ص71

[5]المرجع نفسه،ص73

وهناك مقامتان وردتا في إحاطة ابن الخطيب لمحمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري ،الأولى في استهلال شهر رمضان المبارك و الأخرى في استهلال شهر شوال.[1]

## 3-أبرز المقامات الأندلسية:

### أ-المقامة الحديدية لأبي حفص عمر بن الشهيد:

كان ابن الشهيد عالما بأقسام البلاغة و معانيها[2]،وهو صاحب رسالة التوابع و الزوابع، توفي سنة426هـ[3].

ولأبي حفص بن الشهيد مقامة أطلق عليها بالمقامة الحديدية،لأنها كانت موجهة الى الفقيه ابن الحديد و هو الذي يرافق الكاتب في هذه الرحلة[4].

و هي مقامة يتحدث في بدئها عن صنعة الكتابة من حيث قيمتها في ذاتها ومن حيث فائدتها لصاحبها و يقول :

"إن صنعة الكتابة محنة من المحن و مهنة من المهن من كانت رأس ماله ؛و العاقل من إذا أخرجها من مثالبه لم يدخلها في مناقبه [5]..."

وحين نظن أنه لم يبق الكاتب إلا الشروع في سرد حكايته،يعرج بنا على مقدمة أخرى.

وهي هذه المرة ذات طابع وصفي بين، تتحدث عن حلول الربيع ، و ينقلنا إلى فصل يضعنا رأسا في مسار البداية الحقيقية لهذه المقامة[6].

وتدور موضوع المقامة حول رحلة قام بها هو وصاحبه الفقيه الحديدي نحو منزل بدوي،

---

[1]نفسه،ص72

[2]أحمد بن محمد المقري تلمساني ،نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تح إحسان عباس،مج1،دار الأبحاث للترجمة،الجزائر، ط1،2008،ص621

[3]ينظر:عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،الأدب في المغرب و الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف،ج4،دار العلم للملايين،بيروت،ط2،1984،ص454،455

[4]إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي ،ص248

[5]علي محمد سلامة،الأدب العربي في الأندلس،ص483

[6]علي بن محمد،النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس،"مضامينه و أشكاله"،دار الفرت الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1990،1،ص567

يبدو لنا صاحبه واقفا لاستقبال ضيوفه،مرحبا بهم،ثم يميل بهم إلى بيت قد أحسن ترتيبه[1]، فيبدأ ابن الشهيد بوصف البيت الذي نزلوا فيه، و إذا به يسمع دويا هو صوت الديك،و هنا يقف الديك خطيبا يذكرهم بفضائله وأنه يوقظهم في الأسحار،و يؤذن لهم بالليل، فرقت له أنفس القوم و لاموا صاحب المنزل على نكران الجميل . و في فصل أخر نراه و قد وصل الى قرية من القرى المسيحية ووصف جمالها و جمال سكانها[2].

وخلاصة القول أن الكاتب أراد أن يبدع فأسرع إلى ذهنه هذا الشكل التعبيري،وقد بدا له أنه مسرح فسيح له ألوان من التفنن في رسم المشاهد الجميلة[3]،وقد تضمنت المقامة أوصافا خيالية تدل على براعة في انتقاء الألفاظ و المعاني[4].

فإذا كان هذا شأن مقامة أبي حفص،فما يكون نصيب ابن مالك القرطبي من هذا الفن[5] ؟

## ب-المقامة المعتصمية لأبي محمد بن مالك القرطبي:

كان فرد من أفراد الشعراء و الكتاب،وبحرا من بحور المعارف والآداب[6]،هذه المقامة خاطب بها أمير المرية المعتصم بن صمادح،ولذالك ارتأينا أن نسميها باسمه، فهي مجموعة من القطع في مدح ملك المرية،ووصف حروبه،و التغني بانتصاراته،وإشهار محامده وفضائله.

فهو يبدأ بمدخل مديحي من النوع التقليدي المألوف كقوله:

"... فاني أنبئه،ولا أنبئ إلا حقا،وأخبره،ولا أخبر إلا صدقا،أما الأفئدة من بعده فمفؤودة، وأما الأكباد لبعده فمكبودة و الدهر من بعده ليلة ليلاء...". ثم يذكر النصر الذي تسنى له. و في فصل آخر يصف طلوع موكب الأمير القائد و أسلحته الفتاكة...ثم يهاجم أعداءه،وفي

---

[1]ينظر المرجع نفسه،ص568،567

[2]ينظر إحسان عباس،تاريخ الأدب الأندلسي،ص248

[3]المرجع السابق،ص572

[4]أحمد ضيف،بلاغة العرب في الأندلس،دار المعارف،تونس،دط،دت،ص43،44

[5]السابق نفسه،ص572

[6]أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،تح إحسان عباس،القسم الأول،مج1،دار الثقافة،لبنان،دط،1998،ص739

أواخر الفصول نرى الكاتب متأسفا على عدم مرافقته الأمير،مبديا جزعه من أن لا يأتي معونته إلا باللسان.

و لعل الغرض الأصلي للنص هو استجداء الأمير،والتقرب إليه بواسطة[1] التفخيم و التعظيم اللذين أراد أن ينشرهما على ساحات الحرب و القتال.وتختلف هذه المقامة التي تقدمت باعتماد أسلوبها على الأمثال،وحل الأبيات الشعرية،وتحوير معاني الأدباء و الشعراء السابقين،كما أن موضوعها في المدح التهويلي ينقص حظها من طرافة الموصوفات في المقامة السابقة[2].

ومن خلال دراستنا لهذه المقامة نرى أنها تدور حول مدح المعتصم بن صمادح،ووصف انتصاراته،و التغني بأخلاقه وفضائله من أجل التكسب و التقرب من ملك.

## ج-المقامة الأدبية لعبد الرحمن بن فتوح:

عبد الرحمان بن فتوح و شاعر أندلسي عاش في القرن الحادي عشر،كني بأبي الحسن، وكان من أهل الأدب والشعر،وله كتاب سماه"بستان الملوك[3]".

تدور مقامة بن فتوح حول الشعر،و السؤال عن الأدباء،و الخصائص التي تميزوا بها عن غيرهم،وهي تبدو أغنى في الجانب القصصي من كثير من النصوص التي رأيناها لحد الآن بل إن الذي يلفت الانتباه في بنائها أنها قصة داخل قصة. فالقصة الأولى هي التي تمهد للقصة الثانية وهي التي تفسرها و تشرح ظروفها .ولكنها على الرغم من هذا الغنى النسبي ،تبقى بسيطة،لا تدل على موهبة معتبرة في النخيل،واستخدام الأبعاد القصصية.[4]

وخلاصتها أن ابن فتوح كان ليلة في رمضان يطوف بالمسجد الجامع بالمرية سنة 430ه و يردد بيتا فسمعه فتى حسن المنظر فسلم عليه واستحلفه إعادة ما قال فأعاده،فقال له أنت

---

[1] علي بن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس،"مضامينه وأشكاله"،ص573،574

[2] إحسان عباس،تاريخ الأدب الأندلسي،ص249

[3] فرناندودي لاجرانخا (الشنتمرى)،مقامات ورسائل أندلسية نصوص ودراسات،تر أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم،دار المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،ط1،2002،ص53

[4] ينظر علي بن محمد،النثر الأندلسي في القرن الخامس،ص578،579

أخذته من العباس بن الأحنف ،ثم سأله عن سبب ترديده البيت،فأخبره أن ذالك كان لفراق حبيب، و ينتهي هذا المشهد الأول بانصراف الشاب و قد غرس مودته في قلب الراوي.

و يبتدئ الجزء الثاني من القصة عندما يأتي الشاب إلى منزل الكاتب مع بزوغ الخيوط الأولى للفجر،فيقول له إن اليوم فيه ،مطر و برق .هل تسمح لي بالتسلي معك،فيمضيان الوقت بذاكر شعراء بلدهم و أدبائه،و هنا كان الفتى هو السائل و ابن فتوح المجاوب ،فوضح رأيه في ابن برد و غيره من الأدباء[1].

مما تقدم نرى أن مقامة ابن فتوح كانت في مضمونها وطبيعتها ذات طابع قصصي حيث أن الكاتب استعرض فيها أقوال وأخبار الشعراء عن طريق ذكر شعرهم فقد جسد لذالك شخصية متخيلة وحدد تاريخ اللقاء بربط الحادثة بالواقع من حيث الزمان و المكان.و لقد نحت كذالك ابن فتوح بعض النصوص الأخرى ذات الطابع القصصي،بعيدا كل البعد عن المسائل العاطفية و اتجهت نحو موضوعات تعليمية مما يقربها أكثر من نماذج المقامات البديعية[2].

### د-المقامة النخلية للنباهي:

النباهي هو أبو حفص أحمد(الأصغر) بن محمد بن أبي حفص أحمد(الأكبر) كان كاتبا بليغا،وأحد الشعراء الذين حظوا بصيت كبير بين جماعة الشعراء الأندلسيين[3]. و قد اشتهر برسالة السيف و القلم.و له رسائل سلطانيات و رسائل إخوانيات،توفي سنة 418ه في سرقسطة[4].

وهذه الرقعة لأبي حفص بن برد الأصغر،فهي تذكرنا بالمقامات المشرقية،وبمقامات بديع الزمان بالذات،لامتزاج القالب السردي فيها بالمسائل اللغوية المسيطرة عليها.تبدأ المقامة

[1] ينظر إحسان عباس،تاريخ الأدب الأندلسي،ص255

[2] المرجع السابق،ص249

[3] فرناندودي لاجرانخا (الشنتمرى)،مقامات و رسائل أندلسية،ص19،20

[4] ينظر :عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي ،الأدب في المغرب و الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف ،ج510،511،4

بدعاء موجه إلى مخاطب لا تعرفه،لان صدر الرقعة محذوف،يقول فيها:( جعلك الله من المؤثرين على أنفسهم،و الموقنين شحها،و المنجزين لمواعيدهم،و المعطين صدقها[1]).

و هاتان العبارتان في الدعاء تتضمنان معنى الفتح،و بهما يضعنا الكاتب في سياق القصة التي يبدأ بروايتها. و هي باختصاركما يلي:

جماعة من الناس تلوم أحد لأنه حين جنى ثمر نخلته-كتم ذالك الأمر فيعتذر صاحب النخل قائلا:أنا لم أكن أعلم بكلفكم هذا بثمار النخلة،وفي العام القادم سأعطيكم قسما منه و تحل السنة مضروبة موعدا،ولكنهم يلاقون فتى يبلغهم أن صاحب النخل قد صرم نخلته منذ خمسة عشر يوما،و يقبل جماعة "أبي عبد الله وهو صاحب النخل"يلومونه على عدم الوفاء بالوعد،وعلى الشح المتمكن في نفسه.ثم يناشدونه أن يجعل لهم نصيبا مما استبقاه لنفسه مقابل إمتاعه بما لديهم من غريب اللغة وأبيات الشعر،ويقترحون عليه أن يسمعوه شيئا

من كلام العرب في التمر والنخل.على أن يجعل جوائزهم من التمر إذ رق له كلامهم و أعجبه إنشادهم.وكأنما يعدون هذا الكلام مجرد إغراء لأبي عبد الله،و طعم يستدرجونه به إلى شباكهم،وهم يقولون له :أمجدنا رطبا نمجدك خطبا... و يزيدون في تشويقه بقولهم: "ولعلك تحب أن تسمع شيئا من منظوم الكلام في النخل يذيب من جمودك،ويولد عقم جودك ..."[2].

هذه هي مقامة النباهي التي تناولت غرضا تعليميا و هو الحديث عن النخلة،وبعض ما قيل من أشعار وكلام العرب سارحا بخياله بأسلوب رفيع لكي يمتع القارئ بها،و لا يبعث في نفسه الملل،ومن الملاحظ أيضا أن هذه المقامة جاءت تقليدا لمقامات بديع الزمان الهمذاني من خلال توفرها على سرد قصصي متخيل بسيط.وأيضا لاحتوائها على عنصري الكدية و الحيلة الذي اتبعه جماعة الناس لأخذ التمر من أبي عبد الله.

[1] علي بن محمد،النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس،"مضامينه وأشكاله"،580،581
[2] المرجع نفسه،ص582،580

### ه-المقامة الدوحية لابن عياض:

هو أبو الفضل عياض بن موسى ولد في سبتة سنة 476ه.تولى القضاء فيها لمدة طويلة.

كان أديبا خطيبا مترسلا بليغا وشاعرا[1].و ينسب إليه ابن سعيد المقامة المعروفة بالمقامة الدوحية التي تجلى فيها تأنقه في الأسلوب،ومعرفته الواسعة،وموهبته الفطرية باعتباره كاتبا،وقد عرفت المقامة كذالك باسم كاتبها المقامة العياضية الغزلية[2].

المقامة هي عبارة عن رحلة طويلة قام بها المؤلف دون أن يصادف محطة ينزل فيها، و تناولت المقامة مصطلحات جغرافية تتخللها مصطلحات من جسد المرأة،ثم يشعر المؤلف بالندم لهجرة مدينته الصغرى،لكنه لم يحاول العودة إليها؛لأنه تعلق بهدف في مدينته الحمراء.وصل الكاتب الصعلوك إلى المدينة،وطفق يبحث كما بحث في شوق عرضا وطولا في جولاته الدائمة عن أمير يبسط له راحته.هكذا ينتهي هذا الجزء من المقامة النثرية،يتبع المقامة بعض أبيات من الشعر[3].

ومن خلال دراستنا لهذه المقامة نلاحظ أنها كانت مختلفة عن سابقتها بحكم أنها التبست غرضا من أغراض الشعر ألا وهو الغزل الذي كان من سمات التجديد و الإبداع في هذه المقامة،إضافة إلى ذلك نرى أن المؤلف صور لنا حياة الصعلوك التي تكون مرتبطة بالسفر والتجوال.وهنا تبين لنا أن المقامة الأندلسية ارتبطت بأدب الرحلة.

### و-المقامة القرطبية لأبي عبد الله بن أبي الخصال:

هو أبو الله محمد بن يوسف بن الطيب المعروف بابن أبي الخصال،وأولويته من قرغليظ قرب شنقورة،وفيها كان مولده سنة 465ه توفي سنة 540ه[4].

تنسب هذه المقامة إلى أبي الخصال عارض بها الحريري،بطلها الحارث بن همام وصاحبه

---

[1] عمر فروخ،الأدب في المغرب و الأندلس،عصر المرابطين و الموحدين،ج5،ص291
[2] فرناندودي لاجرانخا(الشنتمرى)،مقامات ورسائل أندلسية،ص83
[3] المرجع نفسه،ص85

[4] المرجع السابق،ج5،ص291

المتنكر أبو زيد السروجي؛أي أن ابن أبي الخصال في معارضته لم يغير الاسمين اللذين أجراهما الحريري في مقاماته. وتدور الحادثة في الريف حيث كان الجو ماطرا،و السيول غامرة،و الفلاحون مبتهجون بما أصابهم من غيث،مر الحارث بن همام من بيت فوجد الناس مجتمعين يتوسطهم شيخ يستثير دوافع السخاء فيهم بفصاحته فإذا الصرر تفتح و يمطرون الشيخ منها بالدراهم،فلما انصرف الناس تسلل الحارث وراء الشيخ و قال له: انك لابن همام، فنصحه الحارث أن يبيت معه ليختلس ما معه من النقود و لكن الشيخ –وهو السروجي –كان شديد الحذر فلم يقبل أن ينام في الفراش الوثير بعد أن طعم الطعام.
الطيب و في الصباح وجده قد غادر مرقده،وقد ترك رقعة فيها ثلاث قصائد،وعرف الحارث من أمر صاحبه أنه ذهب فشرب في إحدى الحانات ،وهنا تتحول المقامة إلى وصف الحان و الشاربين ومن في الحان من جواري وبعد ذالك ظل الحارث يتحايل على الخمار حتى عرف موضع صاحبه،وعندئذ ذهب إليه وجلسا معا في الحانة،فطلب الحارث من أبي زيد السروجي أن يخلده في شعر.وتختتم المقامة بمقطوعة من السروجي[1].

من خلال دراستنا لهذه المقامة نجد أنها جاءت معارضة لمقامات الحريري وتقليدا لها،فبدأ الكاتب بتقليد الشخصيتين الحارث بن همام والشيخ أبو زيد السروجي،وبروز عنصر الكدية بروزا قويا،وقد عرض لنا الكاتب الحياة الاجتماعية وما فيها من طرق الاحتيال لكي يوقظ القلوب،كما نلاحظ أيضا أن المقامة اختلفت عن مقامة الحريري في طولها و الأغراض التي نسجت فيها،فمثلا في بداية المقامة وصف الريف كما وصف أيضا بيت الحارث ووصف الحان،إضافة إلى ذالك أن المقامة جاءت متبوعة بأبيات شعرية.

بعد دراستنا للمقامة الأندلسية نذهب للقول بأن:

الأندلسيين قد عرفوا فن المقامات عن طريق الرحلات التي قام بها العلماء و الأدباء للاستزادة بالعلم و طلب المعرفة،و برجوع الأدباء إلى الأندلس انتشرت مقامات بديع

[1] ينظر:إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي،ص252،253

الزمان الهمذاني فتأثروا بها، ومنهم من قلدها و عارضها ونسج على منوالها، لكن بالرغم من دراسة وإعجاب الأندلسيين بمقامات بديع الزمان و أدبه إلا أننا لا نجد أي علامة من علامات تقليده إلا في بعض المقامات مثل مقامة ابن شرف القيرواني،و عندما ظهرت مقامات الحريري جعلت مقامات بديع الزمان في دائرة ضيقة؛وذالك راجع إلى تتلمذ عدد من العلماء على يدي الحريري.أما بالنسبة للأصول التي بنيت عليها المقامات فقد خرج الأدباء عنها،وأصبحت المقامة تطرق موضوعات متعددة منها السياسية،النقدية،الاجتماعية ...وغيرها،إضافة إلى ذلك أن المقامة لبست في بعض الأحيان ثوب الرسالة من خلال خلوها من عنصري الكدية و الحيلة،و وفقدانها للشخصيتين الخياليتين،وصارت تحكى على لسان منشئها ما عدا بعض المقامات التي حافظت على أسس و أصول المقامة كمقامات السرقسطي و المقامة القرطبية.

توطئة:

كان للمقامات المشرقية صدى قوي لدى أدباء الأندلس،و قد زاحموا المشارقة في ميدان المقامة،فسارعوا إلى دراستها و شرحها و معارضتها، ومن أولئك الأدباء الأندلسيين أبو الطاهر محمد التميمي السرقسطي ت 538هـ الذي عاش في القرن السادس، وحاول أن يقتفي أثر الحريري في إنشائه لمقاماته و ينهج نهجه فيها.

## 1-السرقسطي و مقاماته اللزومية:

### أ-اسمه و نسبه:

هو أبو طاهر محمد بن يوسف بن عبد الله التميمي،من أهل سرقسطة يكنى بأبي الطاهر ،و يختلف هذا الاسم من مصدر إلى آخر،فقد أضافت بعض المصادر إلى سلسلة نسبه بعض الأسماء،وأخرى حذفتها،فقد أضاف لسان الدين بن الخطيب و السيوطي إلى سلسلة (المازني)،وأضاف إلى ذالك ابن الآبار و الضبي الإشتركوي(نسبة إلى إشتركوي؛وهي قرية تبعد عن مدينة سرقسطة بسبعين كيلومترا).وينفرد عمر فروخ بذكر القرطبي،ويبدو أن هذه الألقاب كانت تختلف في شيوعها بين المراجع،فبعضها كان مألوفا و مشهورا مثل السرقسطي والإشتركوني أو الإشتركوي،و بعضها الآخر كان يقتصر على مراجع معينة مثل: القرطبي و المالكي.[1]

إنه من مواليد الثغر الأعلى الأندلسي،ومسقط رأسه مدينة سرقسطة في قرية تسمى الإشتركوي.ويبدو أن المؤلف انتقل إلى مدينة سرقسطة في الأندلس؛واضطر إلى التنقل و الترحل في عدة مدن أندلسية،و منها انتقل إلى شاطبة و أخذ العلم عن أبي محمد الركلي[2].

و في قرطبة أخذ عن عاتب،وكذالك راسل نفرا من العلماء في فنون مختلفة من العلم والأدب،و من هؤلاء أبو الحسن بن الباذش في غرناطة،و ابن العربي في إشبيلية[3].

و يظهر أنه لم يقم برحلة إلى المشرق لتكميل دراسته و السماع من كبار العلماء كما اعتاد علماء الأندلس أن يفعلوا آنذاك،و رغم ذالك فقد نهل من ينابيع المشرق مما وصل الأندلس من آثار المشارقة كالحريري.

---

[1]نور المرعي الهدروسي،السرد في مقامات السرقسطي،دار الكتب الحديث،عمان،ط1،2009،ص14

[2]ينظر :المرجع نفسه،ص–ص14،17

[3]عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي ،ج5،ص237

وخلاصة القول أن كاتبنا حصل قدرا كبيرا متنوعا من العلوم،كعادة علماء عصره في الإحاطة بجوانب متعددة من المعرفة.وتوفي السرقسطي مساء يوم الثلاثاء في 21 من جمادى الأولى من سنة 538ه[1].

ب-مؤلفاته:

كان السرقسطي مبدعا في كثير من الجوانب الأدبية،و قد ترك وراءه عددا كبيرا من المؤلفات و بناء على ما ذكرته المصادر فإن مؤلفاته هي[2]:

المسلسل في غريب اللغة:

يظهر من عنوان هذا الكتاب أنه مصنف في غريب اللغة،و لقد جاء كتاب"المسلسل"في خمسين بابا، لم يضع لها أسماء إنما اتخذ لها أرقاما متسلسلة و قد وضح منهجه فيه قائلا: "افتتحت كل باب منها بشعر عربي،ثم ختمت الباب بمثل ذلك ،و أوردت ما أمكن من الشاهد على ألفاظه هناك"[3].

و هذا الكتاب في المداخل و المداخلات،أي الألفاظ التي يكون لكل معنى كلمة منها معنى آخر[4]،فعدد الشواهد الشعرية ما يزيد على 410شاهدا،منها 39 لامرئ القيس،و34 لزهير و22 للنابغة،و16 لطرفة وغيرهم.

ديوان شعر:

أشار معظم من ترجم للسرقسطي أنه كان شاعرا،و أن شعره قد جمع في ديوان منذ فترة طويلة،ولكن ديوانه لم يصلنا و ربما فقد من خلال التدمير الذي لحق بالأندلس[5].

ومن شعره :

---

[1] المرجع السابق،ص17

[2] المرجع نفسه،ص18

[3] ينظر ،نفسه،ص19،20

[4] عمر فروخ ،تاريخ الأدب العربي،ص238

[5] نور مرعي الهدروسي،السرد في مقامات السرقسطي،ص20

أيا قمرا تطلع من وشاح على غض فاخر من كل راح

أدار السحر من عينيه خمرا معتقة فأشكو كل صاح

و يتضح من خلال هذه المقطوعة الشعرية و غيرها من المختارات التي أبقت عليها المصادر أن شعره مصنوع فيه تكلف،يذكرنا بأشعار الكتاب و العلماء و اللغويين،و أشارت بعض المصادر إلى أن السرقسطي قام بجمع ديوان شعر أبي بكار بن عمار،و الوزير بن بن عباد،و بهذا تكتمل بعض أجزاء صورة السرقسطي فهو بالإضافة إلى أنه يقول الشعر فقد كان يجمعه و يرويه أيضا[1].

## ج--التعريف بالمقامات اللزومية:

تسمى هذه المقامات ب"المقامات اللزومية" منسوجة على منوال مقامات الحريري سواء في الأسلوب الرفيع المتصنع نوعا ما،أم في مضمون الحكاية و هي المجموعة المقامية الوحيدة الكاملة التي وصلت إلينا من الأدب العربي الأندلسي،حيث نجت من عاديات الزمن[2].

و عددها خمسون مقامة،أنشأها أبو الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي بقرطبة إحدى مدن الأندلس،عند وقوفه على ما أنشأه الرئيس أبو محمد الحريري بالبصرة،و بالمقارنة بين المقامات اللزومية التي قام بتحقيقها بدر أحمد ضيف،و التي قام بتحقيقها حسن الوراكلي فإننا نجد فرقا في عدد المقامات،فعند بدر أحمد ضيف نجد خمسين مقامة، و زاد عليها حسن الوراكلي بتسع مقامات في الملحق[3].

و سميت بالمقامات اللزومية و ذلك بأن السرقسطي التزم فيها بلزوم ما لا يلزم في السجع متأثرا بطريقة أبي العلاء المعري على لزوم ما لا يلزم؛و اللزوم فيها أن يلتزم في السجع وبحرفين اثنين أو ثلاثة بدلا من حرف واحد كما هو مألوف[1].

---

[1]نفسه،ص21

[2]نفسه،ص22

[3]المرجع السابق،ص22

و هذا النوع من الصناعة يعدونه من البديع،و قد سمي أيضا بالإعنات و التصنيف والتشديد[2].

## 2-خصائص المقامات اللزومية:

فالملاحظ من تسمية المقامات أنها لا تحمل اسما علما كما فعل الحريري و من قبله البديع ،وإنما سمي بعضها نسبة إلى نوع السجع السائد على كل واحدة منها،فواحدة تسمى المثلثة لأنها بنيت على ثلاثة أسجاع.وأخرى تسمى المرصعة لتقابل عبارتها في سجعتين،و ثالثة تسمى المدبجة لتقابل كل عبارتين منها في ثلاث سجعات مثل:

"ريان الحداثة و الشباب،و ريعان الدماثة و الحباب[3]".

أما المقامات الأخرى التي جعل لها عناوين فهي الثامنة و العشرون و تسمى"الحمقاء" و الموفية الثلاثين و هي مقامة الشعراء،و الحادية و الأربعون و هي مقامة الدب،و التي تليها و هي الفرسية،و مقامة الحمامة،العنقاوية و المقامة الأسدية،و الأخيرة،وهي مقامة في النظم و النثر[4].

و قد اتبع السرقسطي في كل مقامة من المقامات طريقة خاصة في السجع فبنى خمسا منها حسب الحرف الذي انتهت به،أو الحرف الروي،ومنها البائية،و الهمزية و الدالية و النونية و الجيمية،و هذه الأسماء لم تشتق من أسماء المدن التي تدور فيها الأحداث،بل هي مأخوذة من شكل الأسلوب البديعي للمقامة[5].

كما بنى السرقسطي بعض المقامات على طريقة"أبجد"،و إن تفاوت السجع عند السرقسطي فبعضها قليل فيه تصنع و تكلف وأما الغالب الأكثر فسهل رشيق سائغ لا تحس في أسلوبه

---

[1] ينظر ،محمدرضوان الداية،في الأدب الأندلسي،ص259

[2] مصطفى صادق الرافعي،تاريخ آداب العرب،ج3،دار الكتب العلمية،لبنان،ط2002،1،ص278،277

[3] إحسان عباس،تاريخ الأدب الأندلسي،ص254

[4] المرجع نفسه،ص255

[5] نور المرعي الهدروسي،السرد في مقامات السرقسطي،ص26

التعسف و إنما يرد سجعه عفو الخاطر،غير متكلف[1].

و إذا تتبعنا الناحية الجغرافية وجدنا السفر حاضرا بكل أشكاله في مقامات السرقسطي ،و مؤلف السرقسطي غني بالتجولات و أسماء الأماكن فهناك ست و ثلاثون مقامة يذكر الراوي فيها اسم المدينة التي تدور فيها الأحداث و أغفل ذكرها في المقامات المتبقية و اكتفى بالقول إنه في أحد البلدان أو في قفرة بيداء دون تحديد[2].

و قد استمد أكثر أسماء الأماكن التي إختارها من نواحي الجزيرة العربية مثل اليمن،عدن و اليمامة و البحرين.و اختار أيضا الشرق و العراق و الجزيرة و أسماء مدينة السلام و سنجار و أصبهان،و تغلغل في ديار مصر و الشام،و الإسكندرية،ودمياط،وحلب و فلسطين،و لم تجر قصة مقاماته في الأندلس إلا ثلاث مرات:مرة في القيروان و الثانية في طنجة،وثالثة بجزيرة طريف،و لم يفدنا في الثالثة من هذه المقامات ذات الموطن المغربي أي شيء دقيق عن وطنه الأندلس[3].

بالإضافة إلى ذلك أن السرقسطي.لم يلتزم في تحديد الأماكن التي دارت فيها أحداث مقاماته و لذلك يعتريها كثير من الخلط و عدم التمييز،فحين يتحدث عن اليمن يظنها جزءا من عمان[4].قال :"فبينما أنا منها في عمان[5]".

و قد استوحى السرقسطي أسماء أعلامه من أعلام الحريري في مقاماته،و حرص في نفس الوقت على أن تكون الأسماء في مقاماته دلالات تطابق مسمياتها في الصورة الخلقية والسلوكية،فالمنذر بن حمام و السائب بن تمام هما امتداد للحارث بن همام راوي مقامات الحريري[1].

---

[1]مصطفى محمد السيوفي،تاريخ الأدب الأندلسي،ص284

[2]ينظر:عبد الفتاح كيليطو،المقامات السرد و الأنساق الثقافية،تر-عبد الكبير الشرقاوي،دار توبقال للنشر،المغرب،ط1،1993،ص11

[3]إحسان عباس،تاريخ الأدب الأندلسي،ص255

[4]مصطفى محمد السيوفي،تاريخ الأدب الأندلسي،ص284

[5]ينظر،المرجع السابق،ص284

و لدى السرقسطي نلمح ثلاث شخصيات:راويين و هما السائب بن تمام و المنذر بن حمام راوي ثان لكن ليس له دخل في أحداث المقامة،و البطل هو الشيخ السدوسي،ومن أهم صفات البطل في المقامات اللزومية المكر،و التنقل،فهو دائما يحتال على أصحابه من أجل الحصول على المال،و تتصف حيله بالسذاجة التي تدعو إلى السخرية.[2]

و يشارك أبا الحبيب السدوسي دور البطولة ابناه حبيب و غريب قي بعض المقامات و يظهر حبيب في المقامة الخامسة خطيبا في أحد مساجد دمياط.و العقدة في أكثر المقامات اللزومية تقوم على تنكر الشيخ المحتال الكدية لكسب المال،و امتيازه بالبلاغة و الفصاحة في وعظ الناس، و تذكيرهم بالآخرة و ما أعده الله-عزوجل للمؤمنين مع وصف الموت،و التنبيه على أنه نهاية كل حي،و ما يلبث حال الشيخ المحتال أن ينكشف للسائب بن تمام فيفر منه بعد أن يفوز الشيخ بما أراد،لكنه مع كل موقف كان يترك ورقة فيها مقطوعة شعرية تبين حاله و تكشف عن حيله[3].

## 3-موضوعات المقامات اللزومية:

لقد تناولت المقامات اللزومية عددا من الموضوعات المتنوعة،و كان لهذه الموضوعات أهداف و غايات:

### أ-السياسية:

نتيجة الظروف الخاصة التي عاشتها الأندلس،فقد مرت بفترة اضطراب سياسي،و هذا ما جعل السرقسطي يوظف مقامات عدة لنقد الأوضاع السياسية الخاصة بإدارة الحكم و سياسة القضاء،مما يبرز شخصية الحاكم أو القاضي،فنراه في إحدى مقاماته يظهر لنا شخصية القاضي المرتشي و أعوانه الذين يعملون تحت إمرته[1].

---

[1]ينظر:نور المرعي الهدروسي،السرد في مقامات السرقسطي،ص26،27

[2]المرجع نفسه،ص28

[3]مصطفى محمد السيوفي،تاريخ الأدب الأندلسي،ص285

و تحمل هذه الإشارة لتغيير الأخلاق الذميمة و المشوهة التي اتصف بها القضاة و الحكام.

وفي المقامة الخامسة و العشرون و هي مقامة القاضي يصور لنا السرقسطي صورة القاضي المرتشي،الذي ينشر الظلم و الباطل في أوساط المجتمع،فالقضاء هو الأداة التي يعتمد عليها الناس لاسترداد حقوقهم،و نشر العدالة لكن في هذه المقامة أوضح لنا السرقسطي كيف يتواطئ القاضي مع المجرمين من أجل مصلحة شخصية سواءا كانت مادية أو معنوية.

يقول القاضي مخاطبا السجان:

"يا أخا المجان،بلغني أنك تساهم القوم في الغدوات و العشوات، و تسامح في القهوات و النشوات،وأن لك على ذلك حذرا،ما سمعت منك فيه عذرا،و ما الذي حملك على ذلك و جرأك،وخلصك من هذه التبعة و برأك؟وهلا عرفتنا بما صنعت و أديت ما جمعت ومنعت..."[2].

و يصور لنا السرقسطي نموذجا آخر من القضاة مخالفا للأول و هو القاضي العادل الشريف الذي ينشر العدل،و يسمع أقوال الأطراف المتنازعة،و يحكم بالعدل،و نجد هذه الصورة في المقامة الثالثة عشر التي تروي زيارة السائب بن تمام إلى بلاد اليمامة،و في طريقه يلتقي بجماعة من الناس يتهمونه أنه سرقة مالهم وأثاثهم،و تعود ملكية هذه الأثاث إلى الشيخ أبي حبيب الذي احتال عليهم و سرق أملاكهم،فيمتثل الجميع أمام القاضي النزيه ليحكم بينهم،لكن أبا حبيب ينكر التهم الموجهة إليه.

يقول أبا حبيب للقاضي معجبا بأخلاقه:

يا حاكما تشتاقه عمان و التربة الميثاء و الصمان

---

[1] موقع:دنيا الوطن،مقالة بعنوان تطور المقامات في الأدب الأندلسي السرقسطي انموذجا،باسل الطائي ،سفانة الصافي،2017-05-14

[2] أبي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي،المقامات اللزومية،تح وعلق حواشيها حسن الوراكلي،جدار الكتاب العالمي،عمان،الأردن،ط2،2006م،ص227،226،و القهوات:جمع قهوة و هي الخمر

أنت التقي زانه الإيمان كما يزين نظمه الجمان[1]

و بهذه الأبيات يعجب القاضي ببيان عباراته،و جزالة ألفاظه و جمال أسلوبه،و بلاغته و فصاحته.

فيقول القاضي لأبي حبيب :

"لقد راعني من بيانك رائع،و ما حق مثلك عندي ضائع،خلوه و مذهبه،و ما احتازه و نهبه و عليكم كسوة كل عار،و درك ما واقعتموه من عار[2]".

## ب-الاجتماعية:

أدت الفتنة التي شهدتها الأندلس في مطلع القرن الخامس الهجري إلى انتقال المجتمع الأندلسي من عصر اتسم بالاستقرار و الأمن و ثبات القيم الاجتماعية إلى عصر اتسم بالإضطراب و الفتن و انهيار المبادئ الأخلاقية،و لهذا كانت غاية السرقسطي من خلال التعبير عن الأحوال الإجتماعية و كان الطابع الاجتماعي طاغيا عن غيره من الموضوعات في هذه المقامات.

ومن أهم الظواهر الاجتماعية التي تناولها السرقسطي في مقاماته ظاهرة الكدية،فالبطل في هذه المقامات أديب متسول يتنكر بأشكال مختلفة للاحتيال على الناس و كسب المال.

و نجد ذلك في المقامة السابعة و الثلاثين و هي مقامة الحمامة،حيث حاول السرقسطي أن يكشف لنا أساليب أبي حبيب السدوسي،فنراه في هذه المقامة يستجدي الناس لمساعدة حمامته المسكينة التي وقعت في شباك الصياد،و يحاول أن يعرض للناس ألمها و معاناتها و هي وراء القفص فيقول:

"أين منك طريد جارح،ليس ببارح،و أسير صائد... وقد كان يضيق به الجو،و لا يسعه الدو،فما هو اليوم،في بيت أضيق من القبر،وحال أنكى من إبر الدبر...فهل فيكم من يرق لها

---

[1] المرجع نفسه،ص130

[2] نفسه،ص132

و يشفق،و يرسل درهمه و ينفق[1]..."

و نستطيع القول بأن أبا حبيب السدوسي اتخذ من الحمامة مصيدة للوصول إلى طلبه غير المباشر للمال.

و نجد لوحة أخرى من لوحات الكدية في المقامة الخامسة و الثلاثين حيث أن المقامي يصور لنا الشيخ المحتال يتكسب من ترقيص الدب و مداعبته،و الناس من حوله مجتمعون.

يقول السرقسطي:

"فإذا بشيخ مزمل في كساء،بين صبية و نساء،يعدو و يرقص،و يزيد في حديثه و ينقص و إذا في يده سلاسل،و حيوان كريه المنظر باسل.[2].."

نلاحظ من خلال هذه المقامة أن أبا حبيب السدوسي استغل الدب لتحقيق غايته وأطماعه ليكسب من وراءه المال،و قد ظهر في هذه المقامة على شكل عابر سبيل مع فرقته يريد تسلية الناس،لكنه في الخفاء كان يخطط للاحتيال عليهم و سرقة مالهم.

و يظهر ذلك أيضا في المقامة الثامنة و الثلاثين و هي المقامة القردية،فيبدأ السرقسطي مقامته بالعرض الذي قام به أبوحبيب بمراقصته للقرد من أجل الوصول إلى أهدافه وغاياته،و لفت انتباه الناس إليه قصد كسب المال لقول السرقسطي:

"وإذا بحلقة حافلة،و جماعة حافلة،ووسطها شيخ كالعصا النهدي،وأمامه قرد،يقوم بأمره و يقعد...وقد كساه قبا ديباج...ومعه كلب و حمار،و طبل و مزمار[3]..."

و نرى على شاكلتها المقامة الثالثة و الأربعين و هي المقامة الطريفية أن الشيخ السدوسي التجأ إلى حيلة أخرى لكسب المال و هي أن يحكي للناس أساطير وخرافات عن جزيرة طريف و عن إنجازاتها،بحيث أنه ربط هذه الحكايات بفتح الأندلس بقوله:

"كم لنا في ذلك الفتح من صريف،و من أب ماجد و جدغطريف،احتمل اللواء،و اقتعد

---

[1]أبو الطاهر السرقسطي،المقامات اللزومية،ص352

[2] المرجع نفسه ،ص330

[3]نفسه،ص358،و حافلة:أي سريعة الذهاب،قبا:الثوب الذي يلبس بذلك لاجتماع أطرافه

السواء،و قاد الجنود،و أشاد البنود[1]...".

فكان حديثه موثرا في نفوس السامعين مما جعلهم يرمون إليه المال لقول السرقسطي:

"فوقع الناس عليه وقوع الفراش،و تنازعوا مبرته تنازع الهراش فامتلأت يداه،و تطاول مداه[2]...".

و يصور لنا المقامي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية السائدة في بيئته و هي الأطباء الذين يدعون أن لديهم مهارات لشفاء المرضى،لكن في الحقيقة ما هي إلا حيلة لكسب المال فقط، ونجد ذلك في المقامة السادسة و الأربعين و هي المقامة الجنية حيث يتنكر الشيخ بصورة طبيب عراف لديه قدرات لشفاء الناس من المرض.

لقول السرقسطي:

"رأيت شيخا كالعقاب الكاسر...و بين يديه فتى في أطمار،يتمرغ تمرغ الحمار،ثم يتأوه و يشهق،و يمتلأ نفسا و يفهق...و الشق مائل،و الزبد من فمه سائل و الذراع فتلاء..".

و يقول أبو حبيب مخاطبا الجن:

"يا مارد،سهمك صارد،يامريد،ما تريد؟ما أطغاك،ما أعصاك،ما أبعدك كن الخير و أقصاك اخرج يا واغل شغلك شاغل.[3]..".

ثم يقف أبا حبيب السدوسي خاطبا على الناس معلنا عن قدراته و مهارته في شفاء الناس:

"يا أيها الناس،عندي في هذا الشأن سرائر،وخبايا من الحكمة و ضمائر،أخذتها عن العلماء ،و لقنتها عن الحكماء،أين من شكا من هذه الأعراض...أين من لحقته آفة...علي الضمان و له الأمان،و له النعيم ،و أنا الزعيم،عندي من الحكمة خواص و نوادر،و سوابق و بوادر[4]...".

من خلال العرض الذي قدمه لنا المقامي في هذه المقامة نستطيع القول بأنه كشف لنا سلوك

---

[1] نفسه،ص402وصريف :صوت الأنياب،غطريف:السيدالشريف السخي،كثير الخير

[2] نفسه،ص405

[3] نفسه،ص426

[4] نفسه،ص427

الطبيب الذي يستخف بالناس،و يتظاهر أمامهم بأنه يستطيع شفاء المريض،متخفيا وراء قناع الصدق و لكنه في الحقيقة ما هو إلا مخادع غايته سلب مالهم و خداعهم بأكاذيبه.

و يميل المقامي إلى وصف عادات و تقاليد حياة البربر الاجتماعية في المقامة الحادية و الأربعين،و يروي لنا أحداث زيارة السائب بن تمام إلى مدينة طنجة،فيبدأ مقامته بوصف سكانها بقوله:

"فأقمت بين أقوام كالأنعام،أو كالنعام،و أناس كالسباع،أو الضباع،لا أفقه مقولهم،و لا يوافق معقولي معقولهم.[1].." .

و يعرض لنا السرقسطي وصفا دقيقا لحياة سكان طنجة و طعامهم و شرابهم:

"...إلى أن قدموا إلينا من الشيزى جفانا كالجوابي،عليها ثرائد كالهضاب أو الروابي،تنهل سماؤها بدرر الشحم،و تشرق أرجاؤها بفدر اللحم،و جعلنا نأكلها خضما و قضما...ثم دار بينهم شراب يدعونه بأنزيز،لا بالحلو و لا بالمزيز،قليله إن لم يقتل قاتل،و حده للنفوس غائل أو خاتل..[2]."

## ج--العنصر البحري:

يعتبر هذا الموضوع من سمات التميز و التجديد في المقامات اللزومية،حيث أنه لم يورد ذكره في المقامات المشرقية التي كانت تقوم على عنصري الكدية و الحيلة فقط.

و من بين المقامات التي تحدثت عن هذا النوع من المواضيع المقامة السادسة التي دارت أحداثها في ميناء عدن الذي يقع في اليمن،فيكشف لنا المقامي عن المغامرة في ركوب البحر و الأخطار المحدقة التي تلاحق السفن،أثناء تجوالها في البحار،و ينفر من ذلك في أسلوب ساخر[3] بقوله:

"أذكركم بتلك البحور الزاخرة،و السفن الماخرة،و البحر العجاج،و الماء الثجاج،

---

[1]أبو الطاهر السرقسطي،المقامات اللزومية،ص385

[2]المرجع نفسه،ص387-388،والشيزى:شجر الجوز،الجوابي:جمع جوب و هو الكانون، ثرائد:جمع ثريد و هو الطعام من الخبز يبلل بالمرق،أنزيز:هو شراب من العنب المطبوخ

[3]مصطفى محمد السيوفي،تاريخ الأدب الأندلسي،ص287

و بالأعراف الجون،و الغيابات و الدجون[1]...".

و هنا يقف أبو حبيب خطيبا واعظا المجتمعين يذكرهم بأهوال يوم القيامة مستعيرا صفات البحر.[2]

و في المقامة السابعة و هي البحرية يقف أبو حبيب ناصحا الناس ليوازن بين سير البر و ركوب البحر[3] بقوله:

"و ما الذي حملكم على ركوب هذا البحر العجاج، و خرق هذا الماء الثجاج، و لكم في البر منفسح و مجال،و دونكم من هوله أوحال و أوجال،كأنكم قد ملكتم عنانه،أو سالمتم نينانه... و الله لو سلكتموه يوما،أو قطعتموه عوما،لكان ذلك من الخطر[4]...".

و ينتقل أبو حبيب إلى مدح البحرو ركوبه بقوله:

"و إن لهذا البحر لخبرا،و إن به لآيات و عبرا،إلى مرافق و منافع،و متالع من الرزق و مدافع،فمن لؤلؤ و مرجان،و قاطف من ثمرة و جان[5]...".

و المقامة العنقاوية التي وقعت أحداثها في الصين،من أبرز المقامات لأنه استمد فيها مادة من أقاصيص البحرين و حكاياتهم،فقد جعل الشيخ يحدث الناس عن العجائب البحرية التي لاقاها في سفره ،فقد أخبرهم أنه كان ذات يوم يسير في قفرة ملساء[6] بقوله:

"فبينا نحن إذ انسابت تلك الأرض و استدار بنا الطول منها،و العرض،فطوينا المراحل و رأينا الصحاري تمشي بنا و السواحل[7]...".

و بعد ذلك يسرد لنا المقامي كيف وصل إلى جزيرة مليئة بالعجائب،و في طريقهم هبط

---

[1] المرجع السابق،ص58،و الثجاج:شديد الإنصباب،الأعراف:جمع عرف هو كل عال مرتفع منى الرمل و الجبل،الدجون:واحدتها دجن و هو ظل الغيم في يوم المطير

[2] إحسان عباس،تاريخ الأدب الأندلسي،256

[3] مصطفى محمد السيوفي،تاريخ الأدب الأندلسي،ص287

[4] أبو الطاهر السرقسطي،المقامات اللزومية:ص65،66،و العجاج :يسمع لمائه عجيج أي صوت كثير الماء،النينان:جمع نون و هو الحوت

[5] المرجع نفسه،ص68

[6] إحسان عباس،تاريخ الأدب الأندلسي،ص257

[7] المرجع السابق،ص338

فوقهم شيء كأنه سحابة ظليلة،و ظهر لهم شيخ أخبرهم بأنه صغير العنقاء و هو طائر أسطوري لا وجود له،و طار بهم ابن العنقاء و ألقى بهم في رياض مونقة لقول السرقسطي: "سار في الهواء سيرا رقيقا،و جعل السحاب يسايرنا رقيقا ...ثم أخذ في الانصباب و الانحطاط،إلى أرض واسع من الأرض ملطاط،إلى أرض ذات أشجار و أنهار،و رياض مونقة و أزهار[1]...".

و بهذه المقتطفات تبدو البيئة البحرية في مقامات السرقسطي و تتضح معالمها تمام الوضوح على أنه يغلب على الظن أن قنوات التعبير من تلك البيئة البحرية تعتمد على المغامرات البحرية التي تذكر بقصة السندباد البحري،و أغلب للظنأنها عرفت في الأندلس قبل القرن الخامس،كما أنها تذكرنا بقصص الرحالة الأندلسيين.و لاشك أن ذلك كله أمد السرقسطي بمدد لا ينفذ في تصوير البيئة البحرية لبلاد الأندلس[2].

فهذه المقامة أشبه بالحكايات التي كنا نسمعها عن مغامرات السندباد البحري،فهي أسطورية من نسج خيال السرقسطي لا علاقة لها بالواقع،لكي يدفع بالمتلقي إلى القراءة.

د-الوعظ:

ليس ثمة شك أن ما مرت به بلاد الأندلس من محن و اضطراب أحوال المجتمع قد أفضى إلى قلق النفوس،الأمر الذي حد بالمقامي إلى ترسيخ المفاهيم الإسلامية في النفوس.

اتخذ المقامي من موضوع الوعظ وسيلة إلى الصلاح البشري،فسلك طريق الدعوة إلى التزهيد في متع الحياة الدنيا و التذكير بالموت و الآخرة،و قد صور لنا ذلك عن طريق بطل مقامته أبي حبيب الذي كان يظهر في صورة شيخ واعظ،وولي صالح يخطب الناس و يعظهم بأسلوب شائق رشيق[3].

و نجد ذلك في المقامة الثلاثية التي تدور أحداثها في مدينة غزنة حيث أن السائب بن تمام

---

[1] المرجع نفسه،ص343،وملطاط:ساحل البحر،و الملطى:الأرض السهلة

[2] إحسان عباس،تاريخ الأدب الأندلسي،ص288

[3] الموقع::ديوان العرب،مقالة بعنوان:البعد الاجتماعي في المقامات اللزومية للسرقسطي،عبد الرحيم حمدان،الثلاثاء01-12-2009

كان يتجول فيها،حتى مر بمدرسة فسمع صوت الشيخ أبي حبيب يعظ الناس بترك شهوات الدنيا و ملذاتها و يحثهم على التوبة بقوله:

دعاه اللهو و العجب و آن الفوت و الشجب

و قال:أتوب في رجب فجاء،و ما ارعوى،رجب

فيا مغتر،هل يغني ك يوم الذلة الحجب[1]؟

و يظهر ولد الشيخ أبي حبيب السدوسي متقاسما دور البطولة مع والده في أحد مساجد دمياط،يقف خطيبا على الناس يحثهم على نبذ الخلافات لقول السرقسطي:

"فسرت إلى المسجد الجامع،حيث ملتقى اليائس و الطامع،وإذا بفتى كالكوكب اللامع،ذي منظر خاشع،وجفن دامع،يجيد الإنشاد و الإنشاء...و قد وقف على قوله الأسماع،و صرف إليه الأطماع[2]...".

و لقول حبيب واعظا الناس:

"و ارفعوا الظن و الريب،و إلا فاستشعروا الحرب و الريب،و اعلموا أن تشتت الأهواء،مما يذهب عنكم بركة الأنواء و فيم التدابر و البغضاء،و هلا الصفح و الإغضاء[3]...".

و يميل السرقسطي في المقامة التاسعة عشر إلى تذكير الناس بالآخرة، بحيث أنه عرض لنا فكرة الموت،أي أن لا يدوم في هذه الأرض،فكل شيء فان، و يبقى سبحانه و تعالى ذو الجلال و الإكرام.

يقول أبو حبيب السدوسي مخاطبا الناس:

"أين من شيد و أطال،و ملك فاستطال، و كفر و تمرد،و نكب عن السبيل و عرد؟ أين فرعون ذو الأوتاد و كنعان أخو العدد و العتاد؟ أين منه العصيان و العناد، بل أين الحشم

[1] أبي الطاهر السرقسطي،المقامات اللزومية،ص159

[2] المرجع نفسه،ص159

[3] نفسه،ص48،و الريب :صرف الدهر،الحرب:نهب المال الإنسان و تركه لا شيء له،الأنواء:جمع نوء و هو النجم،و كانت العرب تضيف الأمطار و الرياح و الحر إليه

و الأجناد[1]...".

هنا يذكرنا أبو حبيب بحقيقة الموت و أنه نهاية كل حي،و قد ضرب لنا مثالا عن فرعون الذي كفر و تمرد.

و من بين المقامات التي تضمنت معاني الاستغفار و الخشوع المقامة الثامنة حيث يظهر أبو حبيب السدوسي واعظا الناس.

لقول السدوسي:

"الوحاء الوحاء، و الإحصاء الإحصاء،أما آن للقلوب القاسية أن تخشع و لسحاب القماية أن تقشع،و لماء الندامة أن ينشع[2]".

و نرى ذلك أيضا في المقامة الرابعة التي تدور أحداثها في عمان،حيث يلتقي السائب بن تمام بشيخ يعظ الناس و يبث في نفوسهم الإيمان و يذكرهم بالآخرة بقوله:

"أيها الناس:أضرب لكم الأمثال،و لا أخاطب منكم الغثاء و لا الحثال،الحكمة للمؤمن ضالة و الموعظة على الهدى دالة ،الموت لا بد نازل،و الأجل مقارب و منازل،و المرء مابين أمل خادع،و عمر ذاهب،و قدر رادعو أجل ناهب[3]".

و في المقامة الثالثة و العشرين التي دارت أحداثها في مجلس وعظ حول موضوع البخل فيقول أبو حبيب:

"إن البخل لداء الأدواء،و خلق الأسواء...يقبح الجمال،و ينقص الكمال[4]...".

و تتخلل المقامة الرابعة و الأربعين جزء من الوعظ لقول أبي حبيب واعظا السائب و صاحبه:

"و البخل داء،و كبر عداء،رائد البغضاء...و التواضع و الإغضاء،صنوان(أبواهما المحبة و الإرضاء)،يحللان الحقود،و يبرمان العقود[1]...".

---

[1] نفسه،ص182،وعرد:ترك القصد وانهزم،كنعان :هو كنعان بن سام بن نوح ،و إليه ينسب الكنعانيون
[2] نفسه،ص78
[3] نفسه،ص41،و الغثاء:أرذال الناس و سقطهم،الحثال:الرديء من كل شيء،الردع:هو الكف عن الشيء
[4] نفسه،ص215

## هـ-أدب الدعاء:

نجد الدعاء و الالتجاء إلى الله غرضا قائما بذاته في المقامة الموفية الخمسين،و قد صور لنا المقامي توبة أبي حبيب مناجيا الله تعالى طالبا المغفرة.

يقول السرقسطي على لسلن أبي حبيب:

"اللهم إنه كثر نسياني،و طال عصياني،و تكاثفت ذنوبي،و أرقت سجلي و ذنوبي،و أفنيت عمري عمري في الأضاليل ، و تسوفت بالأماني و التعاليل،حتى قيدني الهرم،وأوثقني البرم،وناهزني الحمام،وعاجزني الجمام،اللهم إليك رجعت و بذكرك سجعت...فإجعلني ممن لا يخيب عن رحمتك و لا يغيب[2]".

و يظهر الدعاء أيضا في المقامة العنفاوية عندما التقى السائب بن تمام برجل في طريق رحلته فقال:

"اللهم آنسني بالوحدة و الاعتزال،و جنبني روائع الرجفة و الزلزال،اللهم إليك الانقطاع و أنت المطاع...اللهم اجعلني من خير مناديك،و جنبني شر أعاديك[3]...".

## و-الغزل و المجون:

حوت أكثر من مقامة من المقامات اللزومية معاني الحب و الغزل،و ظهرت بشكل متناثر بين الحين و الآخر،إلا أن هناك مقامة خاصة تحدثت عن لواعج الحب و آثاره،و معاناة العاشق الولهان من الحبيبة،و هي المقامة التاسعة التي تبدأ بزيارة السائب لمدينة السلام لأنها مقر العلم و العلماء[4]

لقول السرقسطي:

"إذا بسرب نساء،يتخايلن بين مرط و كساء...و إذا بإحداهن قد أغدقت قناعا،و أبدت

---

[1] نفسه،ص414

[2] نفسه،ص462،و البرم:الملل،الجمام:الراحة

[3] نفسه،ص340

موقع :دنيا الوطن، مقالة بعنوان: تطور المقامات في الأدب الأندلسي السرقسطي أنموذجا ، باسل الطائي،سفانة الصافي،14-05-2017

امتناعا،فما زالت تلاحظني و تطرق،و أنكر منها و أعرف، و أنا أتبع الآثار، وأوالي من الخجل العثار[1]..." .

فبعد وصف حالتها و كيف تعرف عليها تبدأ المحاورة بينهما فتخاطبه قائلة:

| | |
|---|---|
| يا من يريد وصالي | ركبت حد النصال |
| بيني و بينك يوم | للباتر القصال |
| إن كنت تزعم حبي | فأين منك وصالي[2] |

ثم يبث لواعج انتظارها بعد أن تولت عنه منتظرا يوما آخر جديدا بلقاها و يطفىء شوقه إليها فيقول واصفا مشاعره :

"ثم تولت عني و نفسي تتبعها طربا،وظني يعجم نبعا و غربا، إلى أن جن الليل ،وساهرني الويل...على نماء من الهم و ازدياد[3]....".

و ظهر التغزل بالجواري في المقامة الرابعة و العشرين و قد بدأت برؤية صديق السائب لجارية لقول السرقسطي:

"فعرضت هناك جارية ما جارية،ذاهبة في النفوس جارية،تلعب بالأهواء و الأوهام،لعب المياسر بالسهام،و تودع القلوب من هواها...".

و قد تضمنت المقامة معاني الحب لقول الجارية:

| | |
|---|---|
| يا من شكا الحب و لم يشكه | أن قيل بانت أم عمار |
| و تلك يا ذا الحب من صابر | على نوى شهب و أقمار[4] |

كما يصور لنا السرقسطي نمطا آخر من أنماط السلوك البشري،إنه صاحب التوبة الكاذبة

---

[1] ابو الطاهر السرقسطي،المقامات اللزومية،ص87،و مرط:هي أكسية من الصوف
[2] المرجع نفسه،ص91
[3] نفسه،ص92
[4] نفسه،ص221

حيث ينكث فيها السائب وعده،و يعود إلى عبثه و مجونه في المقامة الخمرية [1]يقول السرقسطي:

"كنت قد ودعت الصبا و الصبابة،و ترشفت الشفافة منها و الصبابة،و اعتزمت الإنابة .... و أكفأت االكؤوس و النخب،و رفعت الملاهي و الصخب...".

و يبدأ المقامي بوصف الخمر و لذة شاربها فيقول:

"و لذت لشاربها و ناشفها،و حنت لخاطبها وعاشقها،فامتزجت بالنفس روحا،وغادرت غصن الحياة مروحا.[2]..".

و في المقامة الثانية و الأربعين عندما التقى السائب بالشيخ السدوسي،فاحتال غليه و أخذه معه إلى الحان لقول السرقسطي:

"و سرت معه إلى دارة مثل الحان ذات قتار و دخان،و رحاب وصحون...وجوار...يتوقدن توقد النجوم...و بقيت من مداعبتهن و مغازلتهن.[3]..".

و يظهر في هذه هذه المقامة حبيب ابن الشيخ السدوسي تاصحا السائب بالعودة إلى طريق المستقيم و ترك اللهو و العبث،و أن هذه ماهي إلا حيلة و خداع من أبي حبيب لقول حبيب:

"لقد أقمت عصرا و دهرا،وطابت لك حتى أقمت بها شهرا،و ما الشيخ بالغمر الضرع... حسبه أنه قادك إلى شهواتك،وفتح من لهواتك.[4]..".

## ز-الحنين:

تضمنت المقامة السابعة عشرة غرض الحنين إلى الأهل و الأحباب و الوطن في افتتاحها لقول السرقسطي:

"حننت إلى الوطن المحبوب ،و نزعت إلى العطن المشبوب،حيث مأرب الشباب،و ملاعب

---

[1] موقع:ديوان العرب، مقالة بعنوان:البعد الاجتماعي في المقامات اللزومية السرقسطي ،عبد الرحيم حمدان ،الثلاثاء 01-12-2009

[2] المرجع السابق،ص190،191،و الشفافة:بقية الماء و اللبن و غيرهما في الإناء،و مثل الشفافة الصبابة

[3] أبو الطاهر السرقسطي،المقامات اللزومية،ص394،395

[4] المرجع نفسه،ص396،و الضرع:صغير السن:يقال هو الغمر الصغير من الرجال

الأحباب...وأول أرض مسى جلدي ترابه[1]ا".

نستطيع القول بأن السرقسطي استعار غرض من أغراض الشعر ألا و هو الحنين ، حيث أنه أعطى للمقامة الأندلسية طابع آخر مختلفا تماما عما كانت عليه عند الكتاب الأندلسيين .

## ح-الأدبية:

خصص السرقسطي مقامة أدبية و هي مقامة "الثلاثين الشعراء"،و قد تناولت حديثا عن الشعراء و خصائص أدبهم،و أقوال وأخبارا عنهم فكان السائب هو السائل ،والشيخ السدوسي هو المجيب مثل قوله في أبي سلمى:

"أجأ أو سلمى زهير لا زهير،ونهير ولا نهير،وذو حكم وإحكام، وعارض في الفصاحة ركام،كثر تنقيحه فزكا تلقيحه،و تماهل رويه، فطاوعه غويه[2]".

و صفوة القول في المقامات اللزومية أنها جاءت مقتفية لأثر الحريري في عدد المقامات وهي خمسون مقامة،و في تضمينها لعنصري الكدية و الحيلة لكن مع اختلاف في أساليب المكدي، و التغير في الزمان و المكان،و بالرغم من أن المجتمع الأندلسي كان متشددا في ظاهرة التسول ،لا يسمح بها،إلا أننا نجدها بكثرة في المقامات اللزومية، إضافة إلى أنها تناولت تصويرا للعيوب الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع الأندلسي،وكانت الغاية منها كشفها و محاولة معالجتها و إصلاحها،وقد تطرقت كذلك إلى موضوعات تقليدية كالغزل والحنين،و قد شق السرقسطي طريقا آخر لم يعهد للمقامة أن نزلت بساحته،فقد أصبحت تشارك أدب الرحلات من خلال تضمين العنصر البحري في مقاماته وذلك راجع لجمال طبيعة بلاد الأندلس.

---

[1] نفسه،ص166

[2] نفسه،ص266،وركام:أي السحاب يعترض في أفق السماء،غويه :يشير إلى شدة عناية الشاعر بتنقيح شعره حتى ضرب به المثل في ذلك

## خاتمة:

تعد دراسة المقامات من الدراسات المهمة في مجال الأدب، لما فيها من بلاغة و أسلوب و خصائص جمالية تدفع بالقارئ إلى الغوص في مضامينها و تذوق أدبها،و قد جاءت هذه المقامات لأهداف مختلفة فبعضها تعليمية و أخرى دينية إذ تناولت مجالات مختلفة.

بعد الدراسة و التحليل خلصت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

-تأثر فن المقامة في الأندلس بفن المقامة بالمشرق من خلال محاكاة الأندلسيين لمقامات البديع و الحريري.

-اهتمام الأندلسيين بدراسة مقامات الحريري أكثر من مقامات بديع الزمان و سبب ذلك راجع إلى الصلة بين الأندلسيين و الحريري.

-تناولت المقامة الأندلسية موضوعات متنوعة اجتماعية ، سياسية،وصفا للمدن،وصفا الرحلات السياحية،كما أنها لبست ثوب الرسالة من خلال تضمينها لأغراضه:المدح،الهجاء الغزل، الحنين.

-اختفاء عنصري الكدية و الحيلة و الشخصيتين الخياليتين من المقامات الأندلسية حيث أصبحت فقط تنظم لسبب معين،ما عدا مقامات السرقسطي و المقامة القرطبية لأبي الخصال

-اتجاه المقامة الأندلسية نحو الرسالة في حين محافظة المقامة المشرقية على هيكلها

-ارتباط أدب الرحلات ارتباطا وثيقا بالمقامات اللزومية،وذلك ما نجده في المقامات البلدانية لأبي بحر صفوان،و لسان الدين بن الخطيب.

-تأثر السرقسطي في نظمه لمقاماته بطريقة أبي علاء المعري في لزوم ما لا يلزم

-محافظة السرقسطي على أصول الفن القصصي للمقامة من خلال إبقاءه للشخصيتين الخياليتين السائب بن تمام، الشيخ السدوسي،وتضمينه لعنصري الكدية و الحيلة في جل مقاماته،و العقدة و الرواية متبوعة بأبيات شعرية.

-بروز الطابع الاجتماعي في المقامة الأندلسية أكثر منه في المقامة المشرقية لارتباطها بالواقع.

-بروز العنصر البحري في المقامات اللزومية التي لم تشهدها ساحة المقامة المشرقية

و ذلك لجمال طبيعة الأندلس.

-تناولت المقامات اللزومية موضوعات مختلفة منها:سياسية، اجتماعية،دينية،الغزل، الحنين فقد جاءت المقامات صورة للواقع الاجتماعي و كان غرضها كشف الظواهر السلبية و إصلاحها،والإرشاد و الوعظ عن طريق التذكير بالآخرة و حقيقة الموت و الدعوة إلى التوبة لله عز وجل.

-ضعف الغرض التعليمي في المقامة الأندلسية،و قوته في المقامة المشرقية.

من خلال ما تقدم نستطيع القول بأن هذا الميدان بحاجة إلى بحث أكثر و إطلاع على نصوص المقامات الموجودة في خزائن مكتبات العالم و ربما يكون هذا البحث بمثابة نافذة مفتوحة لباحثين قد يرغبون في مواصلة البحث فيه و إعطاء الجديد،لأنه من العجز أن نهمل جانب من تراثنا العربي و نتركه بدون دراسة و بحث.

# قائمة المصادر و المراجع

## قائمة المصادر و المراجع:


1. ابن منظور،لسان العرب،دار صادر للطباعة و النشر
2. أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ،تح إحسان عباس القسم الأول ،مج1،دار الثقافة،لبنان،دط،1998م
3. أبي الطاهر محمد بن يوسف السرقسطي ،المقامات اللزومية،تح وعلق حواشيها حسن الوراكلي ،جدار الكتاب العالمي،عمان،الأردن،ط2،2006م
4. حسن أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي،دار النهضة،مصر،دط،دت
5. أحمد ضيف،بلاغة العرب في الأندلس،دار المعارف،تونس،دط،دت
6. إحسان عباس،تاريخ الأدب الأندلسي،عصر الطوائف و المرابطين،دار الشروق،عمان ،ط1،1997م
7. أحمد بن محمد المقري التلمساني ،نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب،تح إحسان عباس،مج1،دار الأبحاث للترجمة ،الجزائر،ط1،2008م
8. حنا الفاخوري،الجامع في تاريخ الأدب العربي،الأدب القديم،دار الجيل،لبنان،ط1،1992م
9. شوقي ضيف،المقامة،دار المعارف،مصر،ط3،دت
10. عبد العزيز عيسى،الأدب العربي في الأندلس،مطبعة الإستقامة،القاهرة،ط1،1940م
11. عبد الفتاح كيليطو،المقامات السرد و الأنساق الثقافية،تر عبد الكبير الشرقاوي،دار توبقال للنشر،المغرب،ط1،1993م
12. علي بن محمد،النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس،"مضامينه و أشكاله،دار الفرت الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1،1990م
13. علي محمد السيد خليفة،دراسات في فنون النثر العربي القديم،دار الوفاء،الإسكندرية،ط1،2015م
14. علي محمد سلامة،الأدب العربي في الأندلس،تطوره موضوعاته وأشهر أعلامه،الدار العربية للموسوعات،لبنان،ط1،1989م

15. عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،الأدب في المغرب و الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف،ج4،دار العلم للملايين،بيروت،ط2،1989م

16. عمر فروخ،تاريخ الأدب العربي،الأدب في المغرب و الأندلس،عصر المرابطين والموحدين،ج5،دار العلم للملايين،لبنان،ط2، 1982م

17. عبد اللطيف عبد الحليم،دار المجاس الأعلى للثقافة،القاهرة،ط1،2002م

18. فايز القيسي، دراسات في الأدب الأندلسي،مركز زايد للتراث والتاريخ،الإمارات،ط1،2002م

19. فرناندودي لاجرانخا الشنتمرى،مقامات و رسائل أندلسية،نصوص و دراسات،تر أبوهمام قصي عدنان سعيد الحسيني،فن المقامات بالأندلس،نشأته و تطوره وسماته،دار الفكر،عمان،ط1،1999م

20. محمد رجب بيومي،الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير،إدارة الثقافة والنشر،السعوديةدط،1400هـ،1980م

21. محمد رضوان الداية،في الأدب الأندلسي،دار الفكر،دمشق،ط1،2002م

22. محمد عبد المنعم خفاجي،الأدب الأندلسي،التطور و التجديد،دار الجيل،لبنان،ط1،1992م

23. محمد مسعود جبران،فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين ابن الخطيب،المضامين والخصائص الأسلوبية،دار المدار الثقافية،بليدة،ط1،2009م

24. محمود عبد الرحيم صالح،فنون النثر في الأدب العباسي،دار جرير،عمان،ط2،2006م

25. مصطفى محمد السيوفي،تاريخ الأدب الأندلسي،دار البيان للطباعة والنشر،القاهرة،دط،2003م

26. نور مرعي الهدروسي،السرد في مقامات السرقسطي،ط1،دار عالم الكتب الحديث عمان،1430هـ،2000م

27. يوسف عطا الطريفي، المغرب والأندلس،دارالأهلية للنشر و التوزيع،عمان،ط1، 2008م
28. موقع:دنيا الوطن، مقالة بعنوان: تطور المقامات في الأدب الأندلسي السرقسطي أنموذجا ،باسل الطائي سفانة الصافي ،14-05-2017
29. موقع:ديوان العرب،مقالة بعنوان:البعد الاجتماعي في المقامات اللزومية للسرقسطي، عبد الرحيم حمدان ،01-12-2009

فهرس الموضوعات: الصفحة